

جمهورية العراق

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة بابل

كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم التأريخ

قبيلة زناتة وأثرها في الأحداث السياسية في بلاد المغرب حتى قيام دولة المرابطين

رسالة قدمها

أحمد جاسم محيميد السلطاني

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية جامعة بابل

وهي جزء من متطلبات نيل درجة ماجستير في التاريخ الإسلامي

بإشراف

الأستاذ المساعد الدكتور

محمد عبدالله المعموري

1437هـ **2016م**





بسم الله الرحمن الرحيم

(قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)

صدق الله العلي العظيم

(سورة البقرة / الآية 32)



إلى... من ربياني صغيراً(والديّ) حباً ووفاءً
إلى ... إخوتي وأخواتي سندي وذخري
إلى ...أسرتي التي وقفت إلى جانبي طوال مدة الدراسة زوجتي وأولادي
إلى... جميع من وقف معي وإلى كل الناس الطيبين
أهدي جهدي المتواضع

الباحث

شكر وامتنان

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لو أن هدانا الله، الحمد لله حمد الشاكرين العارفين لجلال قدره وعظيم شأنه، فقد سدد الخطى، وشرح الصدر، فيسر الأمر حتى ظهر هذا العمل في صورته المتواضعة.

إذا كان الوفاء يقتضي أن يرد الفضل لأهله، فإن واجب العرفان ورد الجميل يدعوني وأنا أنجز رسالتي هذه أن أتوجه بأسمى آيات الشكر والامتنان والعرفان بالفضل إلى أستاذي العزيز المشرف الأستاذ المساعد محمد عبدالله المعموري، الذي كان عوناً لي في كل خطوة من خطوات

البحث، وعلى ملاحظاته وتوجيهاته الحكيمة، وعلى تشـــجيعه الدائم، وتقديم كل الدعم لي، فله مني عظيم الشكر والامتنان وجزاه الله عني خير الجزاء.

وأتقدم بشكري إلى الأساتذة الأفاضل رئيس وأعضاء لجنة المناقشة المحترمين، لتكلفهم عناء قراءة رسالتي وتقويمها.

وأتوجه بأخلص واصـدق آيات الشـكر والتقدير والامتنان إلى أسـاتذتي الأفاضـل في السـنة التحضيرية لدراسة الماجستير الذين نهلت منهم العلم والمعرفة وأخص منهم بالذكر (الأستاذ الدكتور محمد حسين الفلاحي، والاستاذ المساعد الدكتورة زينب فاضل مرجان ، والأستاذ المساعد الدكتور عبد الستار نصيف جاسم، والأستاذ المساعد الدكتور يوسف كاظم جغيل).

وأتقدم بخالص شـكري وامتناني لرئاسـة قسـم التاريخ في كلية التربية للعلوم الإنسـانية في جامعة بابل وجميع الأساتذة في القسم الذين كانوا خير عون لنا.

ولا يفوتني أن أتقدم بجزيل الشكر والامتنان إلى زملائي وزميلاتي في مرحلة الماجستير كافة الذين لم يبخلوا عليّ بآرائهم ومساعدتهم.

وختاماً أود أن أعرب عن امتناني وشـكري لكل من أسـهم في تقديم المسـاعدة لي في إنجاز هذه الدراسـة والذين لم تسـعفني ذاكرتي على ذكرهم داعياً الله عز وجل أن يكون العمل بداية موفقة على طريق البحث العلمي، ويكون فيه الخير والثواب للدين والدنيا، وأن أكون قد وفقت فيما إليه قصدت.

الباحث

N

1-نطاق البحث:

يعــد موضــوع قبيلــة زناتــة ودورهــا فــي الاحــداث السياســية بــالمغرب مــن المواضــيع التاريخيــة المهمــة التــي لــم تحــظ بعنايــة البــاحثين لأســباب متعــددة لعــل اكثرهــا اهميــة هــو قلــة المــادة التاريخيــة المتاحــة امــام الباحــث فضــلا عــن تنــاثر المعلومــات فــي بطــون الكتــب ممــا يتطلــب جهــدا مضــاعفا مــن اجــل جمــع هــذه المعلومــات واعــادة صــياغتها وبمــا ينســجم مع اهداف هذه الدراسة.

تعــد قبيلــة زناتــة مــن القبائــل المغربيــة العريقــة والتــي كانــت لهــا مســاحة انتشــار واســعة فــي المغــرب ابتــداءً مــن المغــرب الأدنــى وانتهــاء بــالمغرب الأقصــى, ممــا جعــل دورهــا بالأحــداث السياســية دوراً كبيــراً وفعــالاً لاســيما موقفهــا مــن الصــراع الأمــوي الفــاطمي إذ تناغمــت تطلعاتهــا السياســية مــع توجهــات الأمــويين فــي المنطقــة ممــا جعلهــا نــداً عنيــدا لتطلعــات الفــاطميين فــي المغــرب فضــلاً عــن ذلــك فقــد تبنــت بعــض فــروع هــذه القبيلــة وعلــى وجــه التحديــد بنــو يفــرن أفكــار الخــوارج فــي المنطقــة مــن صــفرية ونكاريــة وأســهمت بشــكل فاعــل فــي تــرجيح كفــة هــذه الحركــات لاســيما حركــة مخلــد بــن كيــداد النكــاري التــي هــددت كيــان الدولــة الفاطمية.

ونتيجــة لعــدم وجــود دراســة اكاديميــة متخصصــة بموضــوع قبيلــة زناتــة علــى حــد علمنــا فقــد وجــدنا الموضــوع جــدير بالدراســة وذلــك لســد

النقص في المكتبة المغربية بما يخص دراسة القبائل وأثرها بالأحداث السياسية .

إذ حدث أن بطون هذه القبيلة قد انحازوا باتجاه أحد الدولتين الكبيرتين الأموية أو الفاطمية وربما حدث أن انقسم البطن نفسه لصالح احدى الدولتين وهذا ما تجسد لدى زيري بن عطية المغراوي الذي انحاز في بعض الاحيان نحو الدولة الفاطمية ولكن للمصالح والطموحات نجده ينحاز نحو الدولة الاموية في الاندلس . وسار على نهج ابي قره اليفرني وخزرون بن فلفل في أثناء بناء إماراتهم في المغرب الأقصى ونشوء الإمارات المتمثلة بسجلماسة وإمارة بني خزر في فاس فضلاً عن ذلك إمارة بني يفرن في سلا .

فقد جمعت هذه الدراسة ثلاثاً من بطون زناتة هي مغراوة وبنو يفرن وبنو خزرون الذين برز دورهم السياسي بشكل واضح خلال هذه الحقبة التاريخية واستطاعوا من اقامة إمارات خاصة بهم في المغرب الأقصى مستغلين حالة الانقسام والفوضى التي شهدتها البلاد المذكورة نتيجة الصراع الأموي الفاطمي للاستحواذ على المغرب.

تهدف الدراسة إلى الإجابة عن التساؤلات الآتية التي عن طريقها يمكن معرفة قبيلة زناتة وأثرها في الحياة السياسية :

1- ما أسباب تعسف الدولة الأموية والعباسية ضد زناتة ؟
2- ما سبب انضمام زناتة الى الخوارج الصفرية ؟
3- ما الثورات التي قادها الزناتيون ؟

4- ما أثر زناتة في أحداث المغرب حتى خروج الفاطميين نحو مصر ؟

5- ما أهم الإمارات التي نشأت في المغرب .

6- ما علاقة الإمارات بالدولتين الأموية والفاطمية .

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه على مقدمة وثلاثة فصول, قسم الفصل الأول إلى ثلاثة مباحث, تناول المبحث الأول التعريف بقبيلة زناتة من حيث تسميتها وأصلها وبطونها وإسلامها في حين تناول المبحث الثاني مشاركة زناتة في ثورة الخوارج في المغرب الإسلامي (122-154هـ/739-770م) إذ قسم هذا البحث بدوره إلى محورين تناول المحور الأول دور قبيلة زناتة في ثورة ميسرة المطغري بعد استعراض الأسباب التي أدت إلى قيام هذه الثورة، في حين تناول المحور الثاني مشاركة زناتة في ثورة أبي قرة اليفرني والتي انتهت في سنة (154هـ/770م).

أما المبحث الثالث فقد تناول مشاركة زناتة في ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد الخارجي (321-336هـ/932-947م)، وقد قسم المبحث إلى محورين تناول المحور الأول استعراض ثوة أبي يزيد في عهد الخليفة الفاطمي القائم بأمر الله (322-334هـ/933-945م) إذ تطرق هذا المحور وبالتفصيل إلى الانتصارات التي حققها ابا يزيد على الدولة الفاطمية في عهد الخليفة المذكور، أما المحور الثاني فقد تناول الثورة في عهد المنصور الفاطمي (334-341هـ/933-952م)، إذ استعرض هذا المحور الانتصارات الكبيرة التي حققها المنصور

الفاطمي ضد حركة أبي يزيد والتي انتهت بالقضاء على الحركة (336هـ/947م).

أما الفصل الثاني من الدراسة فقد تناول موقف قبيلة زناتة من الوجود الفاطمي في المغرب الإسلامي (298-361هـ/910-971م) إذ تناول هذا الفصل وبالتفصيل قيام الدولة الفاطمية في المغرب الإسلامي ومعارضة قبيلة زناتة لوجود الفاطميين في البلاد المذكورة وسعي هذه القبيلة إلى التحالف مع الدولة الأموية في الأندلس من أجل الوقوف بوجه الخطر الفاطمي ثم تطرق هذا الفصل إلى المعارك الكبيرة التي كانت تخوضها زناتة ضد الفاطميين حتى انتقال هذه القبيلة إلى المغرب سنة (361هـ/971م).

في حين تناول الفصل الثالث والأخير من الدراسة النجاحات الكبيرة التي حققتها قبيلة زناتة في المغرب الأقصى إذ استطاعت هذه القبيلة وبمساعدة الدولة الأموية في الأندلس من إقامة كيانات سياسية خاصة بها في البلاد المذكورة، إذ استطاع بنو خزرون الزناتيين من إقامة إمارة لهم في مدينة سجلماسة سنة (366هـ/976م) على أنقاض دولة الخوارج الصفرية في حين تمكن زيري بن عطية المغراوي من إقامة إمارة مدينة فاس سنة (378هـ/988م).

أما بنو يفرن فقد استطاعوا أيضاً من إقامة إمارة لهم في مدينة سلا في سنة (375هـ/985م)، إلا ان جميع هذه الأحداث زالت على يد الدولة الفاطمية سنة (461هـ/1068م).

لم تخل الدراسة من صعوبات ,تأتي في مقدمتها قلة المادة التاريخية المتاحة امام الباحث فضلا عن تناثر المعلومات في بطون الكتب مما تطلب الصبر والتاني بغية توظيف كل نص بالمكان المناسب ,واخراج الدراسة بالشكل اللائق الذي يجب ان تكون عليه.

2-عرض المصادر والمراجع

2-1- المصادر:

اعتمدت الدراسة على الكثير من المصادر بعضها ذا فائدة كبيرة لا يمكن الاستغناء عنها وبعضها ذا فائدة ثانوية نتقدم بعرضها حسب الترتيب الزمني لها وكما يأتي:

2-1- كتب التاريخ العام:

ليس من السهولة للكاتب عن الحوادث السياسية الاستغناء عن هذا النوع من الكتب وقد اعتمد الباحث على مجموعة مهمة من هذه الكتب لعل أهمها هي:

2-1-1- البيان المغرب في ذكر أخبار الأندلس والمغرب، لابن عذاري، أبو العباس أحمد (كان حياً سنة 712هـ/1312م) ، يعد هذا الكتاب من المصادر المهمة لبحثنا لما يحتويه من معلومات عن التاريخ السياسي لتلك القبيلة والحكام الذين حكموا فيها فضلاً عن ذلك تناول الأحداث السياسية التي حدثت في تلك الحقبة من التاريخ.

2-1-2- أعمال الاعلام، لابن الخطيب، لسان الدين أبي عبدالله محمد بن عبدالله (ت: سنة 776هـ/ 1337م)، يتناول هذا الكتاب الكثير من الأحداث السياسية لقبيلة زناتة وكذلك التاريخ السياسي لمدينة سجلماسة والحكام الذين

حكموا فيها، وكان اعتمادنا عليه كبيراً لما يحتويه من مادة عن التاريخ السياسي.

2-1-3- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، لابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت: سنة 808هـ/1405م)، وهو من الكتب التي لا يمكن الاستغناء عنها عند الكتابة عن تاريخ المغرب، فقد احتوى هذا الكتاب على معلومات مهمة، وبعضها نادرة عن الدول والكيانات السياسية التي إنشأت من امراء زناتة في المغرب، فضلاً عن تناوله لنسب قبيلة زناتة وبطونها وجميع فروعها إضافة إلى الأحداث السياسية التي عاصرتها.

2-1-4- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ومدينة فاس، لابن أبي زرع، علي بن محمد بن عمر الغالي (ت: سنة 710هـ/1311م)، ، وقد تحدث الكتاب عن الاحداث السياسية في مدينة فاس لا سيما في عصر حكم زناتة للمدينة المذكورة لذلك كانت له فائدة كبيرة لاسيما في الفصل الثالث عند الحديث عن الامارات الزناتية التي اسست في المغرب الاقصى.

2-2- كتب الرحالة والجغرافية:

ومن المصادر التي أفدنا منها هي كتبة الرحلة الجغرافية والتي قدمت معلومات عن المناطق ذات العلاقة بالموضوع ومنها:

2-2-1- كتاب صورة الأرض، لابن حوقل، أبو القاسم النصيبي (ت:368هـ/990م) ، وابن حوقل من الجغرافيين الذين زاروا المغرب وسجلوا العديد من ملاحظاتهم ومشاهداتهم، وقد زار مناطق تواجد قبيلة زناتة وغيرها من القبائل المغربية وتتمثل أهمية الكتاب في غناه بالتفاصيل الجغرافية

والاقتصادية، فقد وصف طرق التجارة والسلع والبضائع، وذكر أصول السكان والصراعات القائمة بينهم، كما وصف المدن وما تحويها من أماكن ومؤسسات مهمة، لذلك يعد كتاب صورة الأرض من المصادر التي لا غنى للباحث عنها وخاصة انه عاصر الدولة الفاطمية وكان قد اتهم بالولاء لها وكذلك تحدث عن ثورة صاحب الحمار.

2-2-2- المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، للبكري، أبو عبيد الله بن عبدالله البكري الأندلسي (ت:487هـ/1094م)، وهو جزء كبير من كتابه المسالك والممالك، والبكري جغرافي أندلسي، لم يكتب مشاهداته لرحلة قادته إلى بلاد المغرب ولكنه جمع ما توفر لديه من معلومات جغرافية وتاريخية عن بلاد المغرب، لذلك جاء وصفه لبلاد المغرب وافريقية دقيقاً ووافياً، كما عمل على الدمج بين المعلومات الجغرافية والتاريخية، مما جعل كتابه من الكتب المهمة في وصف المدن المغربية والطرق التجارية مما جعلنا نعتمده في أحيان كثيرة في فصول بحثنا وخاصة عند التعريف بمواطن قبيلة زناتة.

2-2-3- كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، للحميري، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن عبد المنعم (توفي في أواخر القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي)، وهو عبارة عن موسوعة جغرافية شاملة استفادت الدراسة منه في جوانب عديدة بما أورده من تفاصيل تاريخية مهمة وخاصة ما تعلق بالكاهنة وحربها ضد حسان بن النعمان، كما أورد بعض الأخبار عن ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد اليفرني، لذلك فهو من المصادر المهمة.

2-3- كتب الأنساب:

هي الأخرى اعتمدنا على مجموعة منها لتوضيح أنساب بعض الأعلام والقبائل ومن هذه الكتب هي:

-مؤلف مجهول، مفاخر البربر، لا نعرف عن المؤلف سوى انه كان حياً سنة (712هـ)، والمؤلف ولاشك فيه انه من المغرب الأقصى أو الأندلس، كتب دفاعاً عن قومه نتيجة للتهم التي وجهت إلى البربر، فقد أراد المؤلف ان يبين مآثرهم ومحاسنهم فقد تحدث عن أصول البربر وكيفية وصولهم إلى المغرب وقد ذكر به أخبار الخلفاء الأمويين والثورات التي حدثت في المغرب والكتاب له قدر كبير من الأهمية لأنه يقدم وجهة نظر البربر من خلال ما يتحدث به عن القبائل ورجال تلك القبائل وملوكهم.

2-4- كتب الطبقات والتراجم:

2-4-1-كتاب المجالس والمسايرات، للقاضي النعمان بن محمد (ت: سنة 363هـ/973م) ، وتكمن أهمية هذا الكتاب في أن القاضي النعمان كان شاهداً في مجالس الخلفاء الفاطميين وخاصة الخليفة المعز لدين الله وقد أفاد الدراسة في تسجيل الأحداث التاريخية والتي تخص بلاد المغرب وغيرها من الأحداث التي عاصرها القاضي النعمان.

2-4-2-ابن الأبار، محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي البلطي (ت:658هـ/1260م)، الحلة السيراء، وكان لهذا الكتاب دور مهم في ترجمة العديد من الشخصيات التي عاصرت مدة سيطرة زناتة على مناطق عديدة في المغرب فضلاً عن تناوله للأحداث التاريخية التي مرت بها المنطقة من خلال ترجمته لبعض الشخصيات الزناتية المهمة ومنها شخصية مخلد بن كيداد.

2-4-3- المقفى الكبير، للمقريزي، أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي (ت:845هـ/1441م)، وهو الذي يسمى التاريخ الكبير المقفى في تراجم أهل مصر والواردين إليها، وقد عرف ببعض أهل المغرب كخلفاء الدولة الفاطمية في مرحلتها المغربية وقد أفادنا الكتاب في التعريف بخلفاء الدولة الفاطمية ورجالها وكذلك عن ثورة أبي يزيد ضد الفاطميين في عهد المنصور بالله (341/301هـ) وهي المدة التي اشتدت فيها الثورة وعظمت حتى شملت معظم المغرب الأوسط وأفريقية.

2-2- المراجع الحديثة:

كتب المراجع الحديثة لها من الأهمية بأنها توضح لنا معلومات كان قد أشار إليها مؤلفيها تخص الدراسة عن الفكر الخارجي والعلاقات بين قبيلة زناتة والدولة الأموية ومن هذه المراجع:

2-2-1- الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى، للسلاوي، أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، فقد وضع في كتابه تعريف نسب البربر وذكر شعوبهم وأصولهم قبل الإسلام ثم تتبع مراحل الفتح حتى تحدث عن مذاهب أهل المغرب وكذلك في ذكر أحداث تاريخية مما جعل له أهمية في رفد البحث .

2-2-2- كتاب الخوارج في المغرب الإسلامي، لمحمود إسماعيل، وقد استفادت منه الدراسة في العديد من الجوانب من خلال توضيح انتشار الفكر الخارجي في بلاد المغرب، وبالرغم ان كتابه قد تحدث عن الخوارج إلا انه ذكر أحداث تاريخية من خلال ذكر لبعض الثورات المهمة التي قامت بها قبيلة زناتة ضد الحكم الفاطمي والولاة الأمويين لمنطقة افريقية والمغرب.

2-2-3- العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الاندلس والمغرب, للفيلالي، عبد العزيز، إذ كان لكتابه أهمية في ذكر الأحداث التي حصلت في بلاد المغرب وكذلك ذكر لبعض الثورات المهمة كثورة أبي يزيد وغيرها من الثورات فضلاً عن حديثه عن الصراع العسكري بين الفاطميين والزناتيين.

وفي الختام نرجو أن تنال هذه الدراسة رضا واستحسان القارئ وأن تحقق الهدف الذي أعدت من أجله وهو سد النقص الحاصل بالمعلومات التاريخية الخاصة بقبائل المغرب العربي خلال هذه الحقبة التاريخية فأن أصبت فهو القصد والمبتغى وأن أخطأت فحسبي أن يكون لي أجر المجتهد (**قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ**) [1].

والله ولي التوفيق

[1] سورة البقرة / الآية 32.

المبحث الأول

التعــريف بقبيلة زنــــاتة

أولاً- التسمية والأصل

اختلف المؤرخون في تحديد نسب قبيلة زناتة فمنهم من ذهب إلى أن نسب زناتة يعود إلى القبائل الحامية الأفريقية التي تنحدر إلى حام بن نوح وأول من ذهب لهذا الاتجاه هو ابن حزم [1] إذ قال : " انهم من بقايا ولد حام بن نوح (ʋ)، وادعت طوائف منهم إلى اليمن، إلى حمير وبعضهم إلى بر بن قيس عيلان وما عُلِم أن النسابون لقيس عيلان ابناً اسمه بر أصـلاً، ولا كان لحمير طريق إلى بلاد البربر، وقد سار على النهج نفســـه الذي اختطه ابن حزم المؤلف المغربي ابن خلدون [2] الذي أكد على النســـب الحامي الأفريقي لقبيلة زناتة وذلك من خلال قوله " **وإنما حمل نســـابة زناتة على الانتسـاب في حمير الترفع عن النسـب البربري لما يرونهم في هذا العهد خولاً وعبيداً للجباية وعوامل الخراج وهذا وهم فقد كان في شعوب البربر من هم مكافأون لزناتة في العصبية أو أشد منهم مثل هوارة ومكناسة**".

من خلال هذا النص يتضح أن ابن خلدون قد أوجد مبرراً لدعم روايته عن النسب الحامي لقبيلة زناتة وهذا المبرر يكمن في حرص القبائل المغربية –على انتحال النســب العربي لما فيه من عراقة الأصـل فضـلاً عن أن هذا النسـب قد أصـبح مصـدراً للتباهي

---

[1] أبو محمد علي بن أحمد بن ســعيد الظاهري، جمهرة أنســـاب العرب ، منشـــورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية،(بيروت- 2003)، ص 13.

[2] عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضــرمي، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصـرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط3، دار الكتب العلمية ،(بيروت- 2006)، ج7، ص5.

والتفاخر بعد أن كرم الله سبحانه وتعالى العرب بحمل الرسالة السماوية إلى مختلف أرجاء العالم فأشار ابن خلدون بهذا الخصوص أيضاً من خلال قوله: " **وأعجبوا [قبائل زناتة] بالدخول في النسب العربي لصراحته وما فيه من المزية بتعدد الأنبياء لاسيما نسب مضر وأنهم من ولد إسماعيل بن إبراهيم بن نوح بن شيت بن آدم** " [1].

وهناك اتجاه آخر يذهب إلى أن زناتة تعود في أصولها إلى جزيرة العرب وأن انتقالها إلى المغرب كان في زمن الملك البربري جالوت وقد تزعم هذا الاتجاه المؤرخ ابن ابي زرع [2] إذ أشار إلى النسب العربي الصريح لقبيلة زناتة وذكر أن بر بن قيس بن عيلان الجد الأعلى للقبيلة قد انتقل من جزيرة العرب إلى ديار أخواله البربر في فلسطين وبعد مقتل داود عم الملك البربري جالوت انتقل البربر إلى بلاد المغرب فانتقل معهم ماذغيس بن بر الملقب بـ (الأبتر) إلى البلاد المذكورة فكان ذلك بداية استيطان زناتة في المغرب، أما سبب تغير لغتهم من العربية إلى البربرية فقد ذكر الملزوزي [3] ان ذلك كان بحكم تفاعلهم اليومي مع البربر وابتعادهم عن القبائل العربية :

فجاورت زناتة البربرا	**فصيروا كلامهم كما ترى**
وما بدل الدهر سوى أقوالهم	**ولم يبدل مقتضى أحوالهم**

---

[1] ابن خلدون، العبر، ج7، ص5.

[2] الشيخ أبو الحسن علي بن عبدالله، الانيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، د.ط ، دار المنصور للطباعة،(الرباط–1972)، ص279.

[3] أبو فارس عبد العزيز بن عبد الواحد، نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك، المطبعة الملكية، (الرباط – 1963)، ص98.

ومما يؤكد ما ذهبنا إليه في أن تغير لغة زناتة من العربية إلى البربرية كانت بحكم الجوار مع البربر وهذا ما أكدته تماضر بنت قيس إذ قالت [1]:

وشــطـت ببر داره عن بلادنـا ... وطوح بر نفســه حيث يمـا

وأزرت بـبـر لـكـنـة أعـجـمـيـة ... وما كان بر في الحجاز بأعجما

وكـأنـا وبراً لم نفر بحيـادنـا ... ينجو ولم نقســم نهابا ومغنما

وأنشدت تقول أيضاً:

لـنـبـك كـل بـاكـيـة اخـاهـا ... كمـا بكى على بر بن قيس

تحمل عن عشـيرته فأضـحى ... ودون لقـائـه انصـاء عبس

ومن الجدير بالذكر أن بعض مؤلفي المغرب كانوا شـديدي الحرص على إثبات عروبة قبيلة زناتة ومنهم صاحب كتاب الذخيرة السنية [2] الذي أكد على النسب العربي للقبيلة ونقل لنا رواية عن القائد حسـان بن نعمان الغسـاني[3] خاطب فيها زناتة بغية استمالتها إلى جانب جيوش الفتح الإسلامي مذكراً لها بنسبها العربي **قائلاً:" يا معشر زناتة أنتم أخواننا في النسـب، فلم تخالفونا وتعينون علينا أعداءنا ؟ أليس أبوكم بر بن قيس بن عيلان ؟ قالوا : بلى ولكنكم معشر العرب تنكرون لنا ذلك وتدفعوننا عنه،**

---

[1] ابـن أبـي زرع، الأنـيس المطـرب، ص280-281؛ الملـزوزي، نظـم السـلوك، ص98 ؛ ابـن الأحمـر، إسـماعيل ، روضـة النسـرين فـي دولـة بنـي مـرين، مطبعـة الملكيـة، (الربـاط- 1962)، ص3.

[2] مؤلف مجهول، الذخيرة السـنية في محاسـن الدولة المرينية ، دار المنصـور للطباعة والوراقة، (الرباط- 1972)، ص15-16.

[3] أحد قادة الفتح الإسلامي في بلاد المغرب الإسلامي، تولى ولاية المغرب في زمن الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان(65-86هـ/687-703م)، توفي بعد عزله. ينظر: ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن حبيب، فتوح مصـر والمغرب، تحقيق: عبد المنعم عامر،(القاهرة- 1961)، ص200 ؛ زغلول، د. سعد، عبد الحميد تاريخ المغرب الإسلامي ، (الإسكندرية- 1969)،ج1، ص214.

فإذا أقررتم بالحق ورجعتم إليه فاشهدوا لنا به على أنفسكم" [(1)] فوافقوا على ذلك وكتبوا الوثيقة الآتية " **بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما شهد به أنجاد قيس لإخوانهم زناتة بن بر بن قيس بن عيلان، إنا أقررنا لكم وشهدنا على أنفسنا وعلى آبائنا وأجدادنا إنكم معشر زناتة من ولد بر بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، فأنتم والحمد لله إخواننا نسباً واصلاً ترثوننا ونرثكم نجتمع في جد واحد، وهو قيس بن عيلان فلكم ما لنا وعليكم وما علينا"**[(2)].

لم يقتصر الاهتمام بنسب زناتة على المؤرخين بل تعدى الأمر ذلك وشمل بعض شعراء زناتة وفي مقدمتهم يزيد بن خالد الذي ألقى قصيدةً يفتخر بها في النسب العربي جاء في مستهلها:

أيها السائل عن أحسابنا	**قيس بن عيلان بنو العز الأول**
وبنو بر بن قيس من به	**تضرب الأمثال في كل أهل**
ان نسبنا فبنو بر الندا	**طار الأزمة ناحر الإبل** [(3)]

وخلاصة القول لا يمكن لنا الجزم في نسب قبيلة زناتة وذلك بسبب البعد الزماني والمكاني للروايات التاريخية الخاصة بنسب قبيلة زناتة وحسبنا أن تقتفي أثر ابن خلدون الذي غالباً ما يختم روايته بعبارته التاريخية المشهورة"**والله أعلم**" إلا أننا نميل إلى الاتجاه الذي يؤكد إلى النسب العربي لزناتة لكثرة الأدلة والشواهد التاريخية.

---

(1) مؤلف مجهول، الذخيرة السنية، ص13-14.

(2) المصدر نفسه ، ص16 ؛ ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب، ص185.

(3) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص280 ؛ الملزوزي، نظم السلوك، ص98 ؛ ابن الأحمر، روضة النسرين في دولة بني مرين، ص3.

ثانياً– بطون زنـاتـة:

أ– بنـو يفرن

قسـم المؤرخـون البربـر سـكان المغـرب إلـى قسـمين كبيـرين: بربـر البتـر وبربـر البـرانس، كـل منهـا يضـم عـدداً كبيـراً مـن القبائـل تنقسـم بـدورها علـى أفخـاذ وبطـون توزعـت منـازلهم علـى جميـع أنحـاء بـلاد المغـرب وبنـو يفـرن مـن أهـم فـروع قبيلـة زناتـة البترية [1]، فقـد ذكـر ابـن حـزم[2] الأندلسـي أن بنـي يفـرن ينتسـبون إلـى يفـرن بنـو يصـلتين بـن مصـر بـن زاكيـا بـن ورسـيك بـن الـديريت بـن شـانا (وهـو جانـا أوزانـا الـذي نسـبت إليـه قبيلـة زناتـة) وينقسـم بنـو يفـرن بـدورهم إلـى بطـون وأفخـاذ عـدة أشـهرها : بنـو واركـوا ومرنجيصـة [3] وقـد اسـتقر بنـو يفـرن فـي منـاطق عـدة مـن بـلاد المغـرب فنـزل قسـم مـنهم فـي المنطقـة الممتـدة مـن غـرب طـرابلس حتـى افريقيـة وتعـرف فـي المصـادر العربيـة (بـوطن زناتـة) [4] وهـذه المنطقـة يغلـب عليهـا الطـابع الجبلـي، إذ توجـد جبـال دمـر ونفوسـة وغريان ، كما تكثر الكهوف والمغاور في هذه الجبال [5].

---

[1] ابن عذارى، أبو العباس أحمد بن محمد ،البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج.س. كولان ، ليفي بروفنسال، (بيروت– 1980)، ج1، ص66؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص91.

[2] جمهرة أنساب العرب، ص498 ؛ ابن خلدون ، العبر، ج7، ص5.

[3] ابن خلدون العبر، ج6، ص103.

[4] ابن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب، ص232؛ ابن خلدون، العبر، ج7، ص2.

[5] مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق: د. سعد زغلول عبد الحميد ، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد– 1986)، ص128.

ويشير ابن خلدون[1] إلى منازلهم في هذه المنطقة بقوله: " **وأما أفريقية كلها إلى طرابلس فبسائط فتح، كانت ديار النفراوة وبني يفرن ونفوسة ومن لا يحصى من قبائل البربر** " .

واستقر بنو واركوا ومرنجيصة من بني يفرن في بلاد الجريد[2] وجبال الاوراس، كما استقرت طائفة من بني يفرن في منطقة الزاب وتوطنوا بها حتى أجلاهم العرب الهلالية عنها في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، فرحلوا إلى الصحراء الجنوبية، ونزلوا بواحة ورقلة[3] (أو ورجلة أو ورجلان)، أما القسم الأعظم من بني يفرن فقد استقروا جنبا إلى جنب مع بقية قبائل زناتة في جنوبي وهران[4] وتلمسان[5]حتى جبل بني راشد من بلاد

---

[1] العبر، ج6، ص103.

[2] وهي مدن كثيرة تقع على أطراف الصحراء في آخر بلاد أفريقية، امتازت بخصوبتها وكثرة مزروعاتها كالثمر والزيتون فضلاً عن سعة عمرانها، سميت بلاد الجريد لكثرة نخلها. ينظر مؤلف مجهول، الاستبصار ، ص105.

[3] مدينة جزائرية قديمة سكنها بنو ورقلان أحد بطون قبيلة زناتة. ينظر: ابن حوقل: صورة الأرض، ص94.

[4] مدينة ساحلية بالمغرب الاوسط على ضفة البحر بناها جماعة من الاندلسيين البحريين, وهي في غاية المناعة, عليها سور, وفيها بساتين وجنات عدة, وبها من الفواكه الكثيرة والثمار, وتعد فرضة الاندلس . ينظر: ابن حوقل, أبو القاسم محمد بن حوقل النصيبي، صورة الارض, دار مكتبة الحياة،(بيروت-1979م)، ص79؛ مؤلف مجهول, الاستبصار, ص133-134.

[5] مدينة وصفها الجغرافيون بانها قاعدة المغرب الاوسط وهي دار مملكة زناتة حيث يسكن حولها قبائل كثيرة من زناتة وغيرهم من البربر, وكانت كثيرة الخصب والرخاء. ينظر: البكري، أبو عبيد الله بن عبد العزيز، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، نشر البارون دي سلان، (الجزائر- 1911)، ص142؛ الحميري , أبو عبدالله محمد بن عبد المنعم السبتي، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: د. إحسان عباس، (بيروت-1975م) , ص135.

المغرب الأوسط وجاوروا قبائل مغراوة ومغيلة ومديونة وجراوة وكلها من زناتة[1].

فضلاً عن ذلك استوطن قسم منهم في المغرب الأقصى وبالتحديد في منطقة سلا [2]على المحيط الأطلسي وذلك في القرن الرابع الهجري وقد أقام بنو يفرن في مدينة سلا إمارة لهم كان لها شأن عظيم في بسط سيادة قبيلة يفرن في مناطق المغرب الأقصى، وكذلك في مناطق المغرب الأوسط في تلمسان ومناطق عدة من المغرب[3].

ب- مغراوة:

يعد المغرب الأوسط الموطن الأصلي لمغراوة وكانت هذه المنطقة تحت سيطرة قبيلة مغراوة الزناتية قبل مجيء الإسلام، كان زعيمها صولات بن وزمار ومن معه من أهل مغراوة قد أقروا بالولاء إلى الخليفة عثمان بن عفان (23هـ-35هـ/644-666م) الذي أقر حكم صولات على المناطق التي كان يسيطر عليها [4]، وازداد نفوذ

---

[1] البكري، المغرب , ص142؛ ابن خلدون ، العبر، ج7، ص7 ؛ الميلي، محمد ، تاريخ الجزائر القديم والحديث، (الجزائر- 1963)، ج2، ص174.

[2] مدينة أزلية تقع على ساحل البحر المحيط، وتبعد عن مراكش عدة أميال. ينظر: مؤلف مجهول، الاستبصار، ص140-141؛ الحميري، الروض المعطار، ص219.

[3] ابن عذارى، البيان المغرب، ج1، ص217.

[4] ابن خلدون، العبر، ج7، ص29-30.

زناتـــة بـــالمغرب الأوســـط فـــي عهـــد خـــزر بـــن حفـــص[1] الـــذي اســـتطاع أن يمـــد نفـــوذه إلـــى تـــاهرت وبـــلاد القبلـــة وبقـــي المغـــرب تحـــت نفـــوذ وســـيطرة مغراوة حتى نهاية العصر الأموي [2].

وقـد شـهد المغـرب قيـام كيانـات مسـتقلة فيـه فـي ظـل الحكـم العباسـي وسيطـرة الخـوارج علـى منـاطق عـدة منـه، بينمـا حافظـت مغـراوة علـى منـاطق نفوذهـا بـالمغرب الأوسـط بالتعـاون مـع الدولـة الرسـتمية للوقـوف بوجـه خطـر الدولـة العباسـية وبقـي الحـال كمـا هـو عليـه حتـى سـقوط الدولـة الرسـتمية فـي تـاهرت[3] سـنة(297هـ/909م) ، إذ بـرزت مغـراوة كقـوة لا يسـتهان بهـا وقفـت ضـد الدولـة الفاطميـة وظلـت تقاومهـا لمـدة ليسـت بالقصـيرة وامتـد نفـوذ المغراويـين فـي المغـرب

---

[1] هـو خـزر بـن حفـص بـن صـولات بـن وزمـار المغـراوي وهـو أميـر مغـراوة، حكـم مدينـة وهـران ضـمن سـلطة الدولـة الأمويـة فـي الانـدلس. ينظـر : ابـن حـزم ، جمهـرة أنساب العرب، ص496 ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج5، ص19.

[2] ابن الخطيب، لسـان الدين بن محمد بن عبدالله التلمسـاني، تاريخ المغرب في العصـر الوسـيط، أعمال الأعلام ، تحقيق: د. احمد مختار العبادي، (الدار البيضـــاء – 1964)، ص154–155 ؛ عبد محمد ، سوادي، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، د.ط ، (البصرة– 1989)، ص143 وما بعدها.

[3] مدينـــة مغربيـــة كانـــت عاصـــمة دولـــة الرســـتميين الخـــوارج ، بناهـــا مؤســـس هـــذه الدولـــة عبـــد الـــرحمن بـــن رســـتم منتصـــف القـــرن الثـــاني الهجـــري / الثـــامن المـــيلادي، وتعـــرف بتـــاهرت الجديـــدة أو الســـفلى تميـــزاً لتـــاهرت القديمـــة أو العليـــا التـــي كانـــت تبعـــد عنهـــا خمســـة أميـــال. ينظـــر: البكـــري، أبـــي عبـــد الله بـــن عبـــد العزيـــز، المســـالك والممالـــك، تحقيـــق: جمـــال طلبـــة، منشـــورات محمـــد علـــي بيضـــون، دار الكتـــب العلميـــة (بيروت– 2003)، ج2، ص52.

الأقصى في عهد بني خزر المغروايين[1]. إذا استطاعت هذه القبيلة ان تقيم كياناً سياسياً لها في مدينة فاس على حساب نفوذ الفاطميين.

جـ- بني خزرون:

بطن من بطون قبيلة مغراوة الزناتية، تركز سكنهم في مناطق المغرب الأوسط في تلمسان وغيرها من المناطق الأخرى[2]، يعود أصلهم إلى جدهم الأعلى (وزمار بن صقلاب المغراوي) [3] وبعد وفاته تولى من بعده حفص الزعامة، وكان من أعظم أمرائهم، استوطن بني خزرون في سجلماسة عندما استولى خزرون بن فلفل على المدينة بعد إسقاط دولة بني مدرار [4] المكناسيين وقتل آخر ملوكهم المعتز بالله سنة (367هـ/977م) [5]. ومنذ ذلك الحين أعطى بني خزرون المغراويين ولاءهم لبني أمية وساندوا الخلافة الأموية في

---

[1] المقريزي، أحمد بن علي، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق: محمد عبد القادر، منشورات محمد علي بيضون، (بيروت- 2001)، ص147.

[2] مؤلف مجهول ، الاستبصار ، ص110.

[3] أمير قبيلة مغراوة وسائر قبيلة زناتة وهو أول من اسلم من أمراء البربر حيث أسرة الفاتح عبدالله بن أبي سرح وبعدما اسلم على يديه بعث به إلى المدينة لملاقاة الخليفة عثمان بن عفان فجدد إسلامه على يديه وقد عقد عثمان له الامارة على قومه وبلاده وبقيت مدينة وهران تحت حكم أمراء مغراوة. ينظر: ابن خلدون، العبر، ج6، ص172 .

[4] وهي الدولة التي قامت في مدينة سجلماسة وبنو مدرار من بين بطون مكناسة وكانوا قد حكموا سجلماسة بعد مقتل أول حاكم صفري، عيسى بن يزيد . ينظر: مؤلف مجهول، الاستبصار ، ص132 ؛ البكري، المغرب، ص138.

[5] ابن الأثير، علي بن ابي الكرم الجزري الشيباني، الكامل في التاريخ، د.ط، دار صادر ، (بيروت- 1966م)، ج7، ص361 ؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص158.

الأنـــدلس فـــي عهـــد الخليفـــة هشـــام المؤيـــد ســـنة (366-399هــ/976-1008م) وحاجبه المنصور بن أبي عامر [1].

ثالثاً- إسلام زناتـة:

بعد أن علم الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان بخبر مقتل زهير بن القيس عظم عليه الأمر لاســـيما وان الدولة الأموية كانت تشـــهد العديد من الثورات الداخلية ومنها ثورة ابن الزبير [2]، فأضاف للخلافة جرح نازف وأزمة أخرى مما يستوجب المبادرة لإيجاد حل لها وبعد مقتل ابن الزبير في مكة على يد الحجاج بن يوســـف الثقفي رأى الخليفة ان يسير جيشاً إلى المغرب بقيادة حسان بن النعمان الغساني الذي كان بمصر عندما قتل زهير، وأمره عبد الملك بغزو افريقية، فخرج في أربعين ألف مقاتل ولم يدخل أحدا من الأمراء قبله افريقية بمثل هذا الجيش، فبدأ بالتضـــييق على قرطاجنة إلى ان تغلب عليها وتمكن من دخولها عنوة وهدمها حتى لا يتحصـــن الأعداء بها[3]. لم يبق لحسان بعد ذلك سوى التفرغ للقضاء على أقوى جيب للمقاومة في المغرب كله وهو جبل

---

[1] حكم بين سـنتي(366-403 هـ/976-1012م) ، وحجر عليه الحاجب المنصـور لما اسـتولى على مقاليد الحكم . ينظر: ابن حيان, ابو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان محمد القرطبي, المقتبس من ابناء اهل الاندلس تحقيق: محمود علي مكي, لجنة احياء التراث الاســـلامي، (القاهرة 1994)، ص96 ؛ ابن عذارى, البيان المغرب,ج2, ص258-272.

[2]هو عبدالله بن الزبير بن العوام بن خويلد من بني أسد كناه الرسول ρ باسم جده أبي بكر الصديق وسماه باسمه ، أمه أسماء بنت أبي بكر كان أول مولود للمسلمين في المدينة، بويع بالخلافة سنة أربع وســتين أو خمس وســتين، بعد موت معاوية بن يزيد واجتمع على طاعته الحجاز واليمن العراق وخراسـان ، قتل سنة ثلاث وسبعين في أيام عبد الملك وتم قتله على يد الحجاج بن يوسف الثقفي . ينظر: ابن خياط، أبو عمرو خليفة العصفري، تاريخ خليفة ابن خياط، تحقيق: أكرم العمري، (بغداد- 1967م)، ص406.

[3] ابن الأبار، محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضـــاعي البلنســـي، الحلة الســيراء، تحقيق: حســين مؤنس، ط2، دار المعـارف، القـاهرة، 1985، ج2، ص331؛ ابن خلـدون، العبر، ج7، ص6؛ بروفنســال، ليفي، الإسـلام في المغرب والأندلس، تعريب: محمود عبد العزيز سـالم، وصــلاح الدين حلمي، (القاهرة، 1977)، ص92.

أوراس[1]، وقد رأى ان التحالف بين قبائل الاوراس التي كانت تتزعمهم امرأة من قبيلة زناتة هي الكاهنة (ديهيا)[2]وبقايا الروم قد تعاظم لاسـيما بعد مقتل عقبة بن نافع[3] فلم ينتظر حسان طويلاً حتى سيّر جيشاً للقاء الكاهنة ملكة جبال الأوراس ، ونظر لما تتمتع به الكاهنة من قوة ونفوذ بين البربر فقد أدرك حسان بن النعمان جيشاً لأن نفوذه في بلاد المغرب لا يستتب من دون القضاء على نفوذ هذه المرأة إذ أنّ بمقتلها تضعف معنويات البربر وتنتهي احلامهم بإقامة كيان سياسي لهم بالمنطقة [4].

ولاشك ان حسان بن النعمان لم يغفل التجارب السابقة للفاتحين الذين سبقوه فقد علم باستشهاد عقبة وزهير على يد البربر والروم وأدرك حجم التحدي الذي يواجهه لذلك فقد توجه إلى اكبر قوة معادية تحول من دون تمكين العرب من إرسـاء قواعد الفتح وهي الكاهنة ملكة جبال الأوراس التي التف حولها البربر وتعززت مكانتها بما حققته من انتصار على الجيش الإسلامي لذلك كانت وجهة حسان نحو جبال الأوراس، ولما علمت

---

[1] وهو من الجبال المشـــهورة بأفريقية فيه مدن كثيرة وهو جبل يمتاز بخصـــوبته ومناعته. مؤلف مجهول، الاستبصار ، ص164.

[2] هي ديهيا بنت تابنة ترجع في نسبها إلى قبيلة بنو يفرن الزناتية كانت لها معرفة بالكهانة والغيببان فالتف الناس حولها . ابن خلدون، العبر ، ج7، ص11.

[3] عقبة بن نافع بن عبد القيس الفهري القرشـي, ولد في اوائل الهجرة النبوية الشـريفة, تولى ولاية افريقيا مرتين , الاولى:- كانت بين سنة(50 هـ/670م) الى سنة(55هـ/674م), والثانية: من سنة (62-64 هـ/682-685م) . ينظر: الطبري, ابو جعفر محمد بن جرير, تاريخ الرسل والملوك، دار الكتب العلمية، (بيروت-1986)، ج3، ص210؛ ابن عساكر، أبي القاسم علي ابن الحسن بن هبة الله الشـافعي, تاريخ مدينة دمشـق, تحقيق: محب الدين ابي سـعيد العمري , دار الفكر, (بيروت - 1995), ج4, ص535.

[4] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ص65.

الكاهنة بما كان حســـــان يريد ان يقوم به فزحفت إليه بقوات من جبل الاوراس ونزلت مدينة باغية فأخرجت من كان بداخلها وهدمت حصونها لما بلغ حسان خبر ما صنعت الكاهنة ســـار إلى وادي مســـكيانة [1] ودارت معركة بين الطرفين أدت إلى انهزام جيش حســان وتمكنت الكاهنة من قتل الكثير من العرب المســلمين، وأسـرت ثمانين رجلاً من أعيان المسلمين [2] وعاملتهم الكاهنة معاملة حسنة إذ أكرمتهم إلا واحداً يدعى خالد بن يزيد القيســي [3] الذي اتخذته ولداً ومسـتشـاراً لها وسـمي المكان بوادي العذاري[4]. وقد واصلت الكاهنة ملاحقة العرب حتى أخرجتهم ولحق حسان ببرقة[5] حيث مكث هناك في قصور سميت بعد ذلك بقصور حسان [6] ثم كتب إلى عبد الملك بن مروان بما نزل من

---

[1] وهي قرية على نهر تقع في الطريق بين باغية ومجانة. ينظر: البكري ، المســـالك والممالك، ص145 .

[2] ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص36.

[3] هو احد المسلمين الذين وقعوا باسر الكاهنة من جيش حسان بن نعمان الغساني, فقامت بتبني ولداً لها. ينظر: ابن عبد الحكم، فتوح مصـر والمغرب، ص228 ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج4، ص32.

[4] الرقيق القيرواني، أبو اسحاق إبراهيم بن القاسم، تاريخ افريقية والمغرب، تحقيق: المنجي الكعبي، (تونس- 1967)، ص25.

[5] مدينة كبيرة تابعة لمطقة افريقية وقريبة من الحدو د المصـــرية، تمتاز بخصـــوبة أرضـــها وكثر مزارعها وأغلب تبادلها التجاري كان مع الإسكندرية . مؤلف مجهول، الاستبصار، ص143.

[6] الـــبلاذري، أحمـــد بـــن يحيـــى، فتـــوح البلـــدان، تحقيـــق: رضـــوان محمـــد رضـــوان، (القـــاهرة- 1962)، ص213؛ الـــوزان، الحســـن بـــن محمـــد الفاســـي، وصـــف أفريقيـــا ، ترجمـــة: د. محمـــد حجـــي ومحمـــد الأخضـــر، مطبعـــة وراقـــة الـــبلاد، (الربـــاط- 1982)، ج2، ص112.

البلاد على المسلمين طالباً المشورة والمدد[1]، التف البربر حول الكاهنة بعد الانتصار الذي أحرزته على العرب وكان اغلب الذين التفوا حولها من قبيلة زناتة، ومجموعة من القبائل البربرية وبقايا الروم الذين استوطنوا المنطقة وامتلكوا إقطاعيات كبيرة ولذلك تقاطعت مصالح البربر والروم وكان من نتائج هذا الانتصار أيضاً أن بسطت الكاهنة سيطرتها على المغرب كله بعد هزيمتها لحسان أما فيما يخص معاملة العرب المسلمين الذين لم يغادروا فقد كانت معاملة حسنة إلا أن العمل السيء الذي قامت به الكاهنة أنها أقدمت على تخريب افريقية حتى لا يعاود العرب الرجوع إلى المغرب إذ قالت لقومها " **إنَّ العرب إنما يطلبون من افريقية المدائن والذهب والفضة، ونحن إنما نريد المزارع والمراعي فلا نرى لكم إلا خراب بلاد أفريقية كلها، حتى يئس العرب في أن يكون لهم رجوع إليها إلى آخر الدهر**" [2] فعمل أتباعها على تخريب العديد من المدن والحصون وقطع الأشجار، لذلك قام حسان باستغلال هذا الموقف ولم يتأخر بالاتصال بأسير الكاهنة خالد بن يزيد القيسي من أجل جمع المعلومات لمعرفة مواطن القوة والضعف في جيش الكاهنة، فقام حسان بإعداد حملة من أجل القضاء على الكاهنة ومن معها من البربر لذلك قامت الكاهنة بالانسحاب إلى جبل الأوراس للاحتماء به كما فعل من قبل كسيلة بن المعز زعيم قبيلة أوربة البرنسية عندما واجه زهير إذ لجأ الى منطقة الجبال بوصفها منطقة حصينة يمكن للثوار الاحتماء بها ويذهب الرقيق[3] إلى القول بأن

---

[1] الحميري، الروض المعطار، ص65.

[2] ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص36.

[3] تاريخ افريقية والمغرب، ص388.

الكاهنة عندما بلغها قدوم حســـان " **رحلت من جبل أوراس تريده في خلق عظيم** " [1] وقبل اللقاء الحاسم ادركت المرأة بفراستها ان نهايتها باتت وشيكة، ولاسيما عندما انقلب الروم والبربر عليها فأخبرت ولديها وخالد بن يزيد بأنها لاشـــك مقتولة، وأعلمتهم بأن رأسها رأته مقطوعاً بين يدي ملك العرب [2] وهنا تتضح السياسة التي سلكتها الكاهنة في تبني خالد عندما قالت لخالد : " **إلي إنما كنت تبنيتك لمثل هذا اليوم، أنا مقتولة، فأوصيك بأخويك هذين خيراً** " [3] .

التحم الجيشان واشتد القتال بينهما وبعد طول صبر تمكن المسلمون من هزيمة البربر وتبع حســـان الكاهنة التي انســـحبت حتى نزلت الموقع الذي قتلت فيه هي ومن معها من البربر، وبمقتل الكاهنة انتهت كل مقاومة للبربر وأصـــبحت المنطقة كلها للمسلمين وسائر المناطق الأخرى، وكذلك اندفعت القبائل البربرية إلى اعتناق الإسلام، ثم تحول سكانها فيما بعد إلى اعتناق مذهب الخوارج [4].

يقول ابن خلدون[5] بعد انتصار حسان على الكاهنة :" **استأمن إليه البربر على الإســلام والطاعة، على أن يكون منهم اثنا عشـر ألف مجاهد معه، فأجابوه واسـلموا وحســـن وإســـلامهم وعقد للكبير من ولد الكاهنة على قومهم من جراوة وعلى جبل**

---

[1] ابـــن عـــذارى، البيـــان المغـــرب، ج1، ص37 ؛ فـــروخ، عمـــر، العـــرب والإســـلام فـــي الحـــوض الغربـــي مـــن البحـــر المتوســـط، ط2، دار الكتـــاب العربـــي، (بيـــروت– 1981)، ص70–71.

[2] ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص229.

[3] الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية والمغرب، ص390.

[4] ابن خلدون، العبر، ج6، ص129 ؛ المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، كتاب المقفى الكبير ، تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي،(بيروت– 1991)، ج3، ص288.

[5] العبر، ج6، ص128.

الأوراس فقالوا: لزمنا الطاعة له سـبقناها إليها وبايعناه عليها " ، ومع هزيمة الكاهنة وخضـوع تلك المناطق للمسـلمين تبدأ القبائل البربرية مهمة جديدة تتمثل في مشـاركتهم في نشـر الإسـلام في المغرب أسـوة بالعرب الفاتحين بعدما حاربوه نيفاً وخمسـون سـنة، وبذلك كانت السـياسـة المعتدلة التي اتبعها حسـان في المسـاواة بين البربر والعرب في الفيء، وتحميلهم مسـؤولية المشـاركة في قيادة الجيوش الإسـلامية قد أتت ثمارها في استقرار الإسـلام ومنذ ذلك الوقت استقر العرب في مناطق المغرب كما بدأ الإسـلام في اكتساب مسلمين جدد، ولما استقام الأمر لحسـان وخضعت له جميع قبائل زناتة، رجع إلى عبد الملك في دمشق[1] ثم عزل عن الولاية فخلفه موسى بن نصير الذي قام بتدعيم المكاسب التي حققها حسان بن النعمان، فقام بغارات عدة استهدفت القبائل البربرية مثل زناتة وكتامة وصنهاجة لمنعها من الرجوع إلى مقاومة المسلمين ولهذا فقد انتشر الإسلام في ربوع قبيلة زناتة[2].

---

[1] ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص277؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ج1، ص41.

[2] ابن عذاري، البيان المغرب، ص42.

المبحث الثاني

مشاركة زناتة في ثورة الخوارج في المغرب الإسلامي

(122-154هـ/739هـ/770م)

أولاً- مشاركتهم في ثورة ميسرة المطغري(122-125هـ/739-742م)

لم يكن الوضع السياسي في المغرب الإسلامي مرضياً للقبائل المغربية بما فيها زناتة التي اعتادت على الاستقلال وعدم الخضوع لأي سلطة مركزية بحكم ان القبائل المغربية وبالتحديد القبائل البربرية البترية كانت قبائل بدوية متنقلة لم تعتد الخضوع لسلطة مركزية فضلاً عن ذلك فإن الدولة الاموية ومن بعدها العباسية لم تستعمل سياسة تقوم على مدارات هذه القبائل لضمان ولائها بل لجأت بدل من ذلك الى استعمال سياسة الاجحاف ضدها من خلال إرهاقها بالضرائب [1]، مما أدى إلى تذمر البربر من السياسة التعسفية للولاة الامويون وأرادوا ان يطلعوا على حقيقة الامر لذلك ارسلوا وفداً الى العاصمة دمشق لمقابلة الخليفة هشام بن عبد الملك للاطلاع على حقيقة الامور لكن الخليفة رفض مقابلتهم إذ منعهم كاتبه وحاجبه (الأبرش) [2]عند ذلك تركوا له شكوى من عدة نقاط يقدمها للخليفة [3].ومن المؤكد أن الوفد كان بليغاً في التعبير عن الأوضاع التي آل إليها المغرب وعبر بطريقة واضحة عن مطالب أهله وخاطب

---

[1] ابن عبد الحكم، فتوح افريقيا والأندلس، ص90.

[2] من خلال اطلاعنا على المصادر التاريخية لم نجد اي معلومات سوى الاسم وليس هنا اي معلومة تخص الحاجب الابرش.

[3] الفيلالي، عبد العزيز ، العلاقات السياسة بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، دار النشر والتوزيع، (القاهرة- 1975)، ص54.

أعضاءها الحاجب الأبرش خطاباً يحمل الكثير من الأسى والألم من جرّاء ما اعتاد الولاة على اقترافه في حق المغاربة ، وممّا جاء في الشـــكوى التي قدمها الوفد: " **ابلغ أمير المؤمنين أن أميرنا يغزو بنا وبجنده فإذا أصـــاب نقلهم دوننا وقل : هم أحق به فقلنا هو أخلص بجهادنا لأنا لا نأخذ منه شـيئاً أن كان لنا فهم منه في حل وان لم يكن لنا لم نرده وقالوا: إذا حاصرنا مدينة قال : تقدموا وأخر جنده فقلنا: تقدموا فانه ازدياد في الجهاد ومثلكم كفى إخوانه فوقيناهم بأنفســنا وكفيناهم، ثم انهم عمدوا إلى ماشـــيتنا فجعلوا يبقرونها على الســـخال يطلبون الفراء الأبيض لأمير المؤمنين فاحتملنا ذلك وخليناهم وذلك ، ثم انهم ســـاومونا أن يأخذوا كل جميلة من بناتنا فقلنا: لم نجد هذا في كتاب ولا سنة ونحن مسلمون، فأجبنا أن نعلم عن رأي أمير المؤمنين**" [1].

وبذلك تولدت قناعة عند البربر من زناتة وغيرها ان ما يقوم به الولاة في المغرب هو بمباركة الخلافة الاموية في دمشق [2] .

ومن الجدير بالذكر أن القبائل المغربية وعلى رأســـها زناتة قد تأثرت بفكر الخوارج المناهض للدولة الأموية ومما زاد في تقبل هذه القبائل للفكر الخارجي هو انسجام هذا الفكر مع النزعة الاستقلالية للبربر ,لاسيما اذ ما علمنا بأن الخوارج لا تؤمن بأحقية قريش بالخلافة وانما الخليفة عندهم هو الشخص الاصلح وان كان عبداً حبشياً[3] . وبذلك فأن رأي الخوارج بمسألة الخلافة يتماشى مع تطلعات البربر بالاستقلال واقامة كيانات سياسية خاصة بهم . وعندما نطلع بعين الموضوعية على السياسة التي اتبعتها الدولة الأموية بشكل خاص ومن بعدها الدولة العباسية في بلاد المغرب وهي السياسة

---

[1] ابن خلدون، العبر، ج6، ص182 ؛ الفيلالي، العلاقات السياسية، ص54.

[2] ابن خلدون، العبر، ج6، ص182.

[3] الفيلالي، العلاقات السياسية، ص44.

التي ابتعدت كثيراً عن القيم الحقيقية والمبادئ النبيلة للدين الإسـلامي، ومن خلال ملاحظة مجريات أحداث بلاد المغرب في هذه المدة وقبلها نكون قد أدركنا باليقين المطلق ان المغاربة لن يتركوا هذه الأحداث تمر من دون أن يعبروا عن رأيهم وموقفهم تعبيراً ثورياً إيجابياً كما كان شـأنهم دائماً ، فقد رأينا لمحات من ثوراتهم على تعسـف البيزنطيين والرومان ثم ردهم على تجاوزات بعض قادة الفتح وهو الرد الذي عبر عنه كل من كسيلة والكاهنة، أما في عصر الولاة فقد كانت بوادر الثورة تلوح في الأفق على أن الاندلاع الحقيقي للثورة كان في ولاية عبيد الله بن الحبحاب[1] نتيجة الضـغط الكبير الذي مارسه هذا الوالي في سياسته تجاه المغاربة الذين ضاقوا من السياسة التي تكفل بها [2] .

ونتيجة لعدم استجابة الخليفة هشـام بن عبد الملك لمطالبهم كانت انتفاضـتهم سـريعة وخاطفة اسـتطاعوا من خلالها ان يحكموا قبضـتهم على المنطقة في مدة زمنية محدودة وأزالوا مظاهر الحكم الاموي منها وبرز بذلك اسم ميسرة المطغري [3] واصحابه

---

[1] هو مولى بني سـلول، كان والياً على خراج مصـر، تولى ولاية المغرب والأندلس سـنة 116–123هـ/734–740م في عصر الخليفة هشام بن عبد الملك بن مروان يشار إليه تشييد جامع الزيتونة سـنة (116هـ/733م) . ينظر: ابن عبد الحكم، فتوح مصـر وأخبارها، ص363 ؛ ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز القرطبي، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: عبدالله انيس الطباع، دار النشر للجامعية ، (بيروت–1957)، ص40.

[2] ابن خلدون، العبر، ج6، ص128.

[3] اختلفت الروايات في اصله فقيل انه عربي ينتمي لقبيلة الازد, بينما اكدت مصادر اخرى انتماءه الى قبيلة مطغرة البربرية و التي تمتد مواطنها من جنوب سجلماسـة إلى تلسـمان وهي بقرب زناتة, كما اختلف أيضاً حول لقب ميسرة فقيل ميسرة الحقير او الفقير كما عرف عنه اشتغاله بسوق السقاية بالقيروان. ينظر: الرقيق القيرواني ، تاريخ أفريقيا والمغرب، ص112؛ ابن خلدون، العبر، ج7، ص184.

في سماء المعارضة المسلحة ضد السلطة المركزية المتهمة بالظلم الجور وبذلك أعلن البربر وعلى رأسهم قبيلة زناتة الثورة بقيادة ميسرة المطغري على الدولة الأموية [1].

زحف ميسرة بجموع من زناتة الى طنجة وقتل حاكمها عمر بن عبدالله المرادي[2] وسيطروا على المدينة وتمت له السيطرة على المغرب الاقصى واقتطاعه عن نفوذ الدولة الاموية وقد بادر عبدالله بن الحباب بمواجهة خطر الزناتيين فبعث بما لديه من جند بقيادة خالد بن حبيب الفهري ليحول دون وصول ميسرة الى القيروان وأسرع في استدعاء حبيب بن أبي عبده الفهري وجيشه الذي كان قد بعثه الى صقلية[3] ليشارك خالد بن حبيب الفهري في القضاء على المتمردين في طنجة وعندما سمع ميسرة خرج هو وأتباعه عن بالقرب من تاهرت واقتتل خالد وميسرة قتالاً شديداً, بعد ذلك انسحب ميسرة إلى طنجة من دون أسباب والمرجح انه هزم في هذه المعركة ليقوم بعد ذلك أتباعه بعزله[4] وتعيين خالد بن حميد الزناتي[5]. بدل منه كزعيم جديد للثورة وأسندت إليه قيادة جيوش

---

[1] ابن خلدون، العبر، ج6، ص182 ؛ الفيلالي، العلاقات السياسية، ص54.

[2] عامل على مدينة طنجة اساء السيرة وكان السبب في اعلان البربر الثورة وقيام ميسرة بالثورة ضد الحكم الاموي. ينظر: ابن الأبار, الحلة السيراء, ج2, ص332.

[3] جزيرة تقع في حوض البحر المتوسط والى الجنوب من ايطاليا, اذ لا يفصلها عنها سوى مضيق صغير, تبعد عن افريقيا بنحو (165كم) وهي جزيرة مثلثة الاضلاع. ينظر : الادريسي, ابو عبد الله محمد الشريف السبتي, نزهة المشتاق في اختراق الافاق, تحقيق: مجموعة من العلماء , نشر: مكتبة الثقافة الدينية,(القاهرة– د.ت),ج2, ص591؛ مؤلف مجهول,الاستبصار ,ص142.

[4] ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص55.

[5] وهو القائد الذي تولى امر البربر من قبيلة زناتة بعد مقتل ميسرة المطغري، وكان قد التقى جيش خالد بن حبيب واستطاع هزيمته هو وجيشه ومن ثم قتله في المعركة. ينظر: الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية والمغرب ،ج1، ص66؛ ابن عذارى البيان المغرب، ج1، ص56.

الخوارج الذي كان يضم العديد من القبائل بما فيها زناتة [1]، فقام خالد بن حميد الزناتي بعد ذلك بتولي قيادة جموع زناته وقد اخذ على عاتقه التصدي للدولة الاموية وجيشها وبناء على ذلك قام خالد بن حبيب الفهري[2] استغلال هذه الظروف فواصل التقدم لاحتلال مدينة طنجة، لكنه فوجئ بجموع كبيرة للبربر بقيادة خالد بن حميد الزناتي، فثبت لهم وقاتلهم قتالاً ضارياً إلا أن المعركة انتهت بقتل خالد بن حبيب ومعظم جنده في واقعة أطلق عليها المؤرخون اسم واقعة الاشراف[3] [4] كما ان عامل الأندلس عقبة بن الحجاج أسرع بمساعدة والي المغرب بالقضاء على التمرد وذلك بعد طلب منه [5]، ولكن هذه الرواية بعيدة الاحتمال لان أحوال الأندلس آنذاك لم تكن أحسن من أحوال المغرب اذ شهدت استبدال الكثير من الولاة بسبب حالة عدم الاستقرار في البلاد المذكورة [6].

---

[1] ابن عذارى ، البيان المغرب، ج1، ص142 ؛ طه، عبد الواحد ذنون، الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال أفريقيا والأندلس، دار المدار الإسلامي، 2004، ص359.

[2] والي افريقيا من عام(127هـ/744م) وحتى وفاته عام 137هـ/754م,ارسله عبيد الله ابن الحباب لقتل الصفرية . ينظر: ابن عذارى, البيان المغرب ,ج2, ص224.

[3] معركة جرت في طنجة بين العرب المسلمين بقيادة خالد بن حبيب والبربر بقيادة خالد بن حميد الزناتي سنة(123هـ/741م) وانتهت بانتصار البربر. ينظر: ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأفريقيا، ص217-218 ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج5، ص191؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ج1، ص53 ؛ السلاوي، أبو الحسن أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، الدار البيضاء ، 1954، ص105-109.

[4] الرقيق القيرواني، ص109 ؛ ابن الاثير، الكامل، ج5، ص192؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص53.

[5] طه، الفتح والاستقرار، ص359.

[6] ابن عذاري، البيان المغرب، ج1،ص55.

بعد ذلك اصدر الخليفة هشام بن عبد الملك (105– 125هـ/724–743م) قراراً بعزل عبدالله بن الحبحاب (123هـ/740م) وتعيين كلثوم بن عياض[1] قائداً للجيش الضخم الذي توجه الى المغرب فإن قتل يتولى بلج بن بشر القشيري[2] قيادة الجيش من بعده وفي أثناء مسيرته انضم إلى جيشه جند من مصر وافريقية فسار بهم جميعاً إلى طنجة إذ التقاهم جموع الزناتيين عند قرية بقدورة الواقعة على نهر سبو في المغرب الأقصى فدارت معركة كبيرة قتل فيها القائد كلثوم وهزم الجيش العربي، اما بلج بن بشر فقد تمكن من الفرار بعد ذلك هو ومن بقي معه من الجيش نحو طنجة وعادت فلول الجيش المهزوم الى افريقية بعد هزيمتها امام جموع زناتة [3].

ثانياً– مشاركة زناتة في ثورة أبي قرة اليفرني (148–154هـ/765–770م)

لم يقتصر دور زناتة على مساندة ثورة الخوارج الصفرية بقيادة ميسرة باشتراكهم بالمعارك فحسب فضلاً عن قيادة خالد بن حميد الزناتي للبربر بعد عزل ميسرة وتحقيقه النصر على ولاة الدولة الاموية وانما تعد الامر ايضاً الى الدور الكبير الذي لعبته قبيلة

---

[1] هو قائد بالدولة الاموية ولي دمشق في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك ، كما ارسله الخليفة الاموي لقمع ثورة البربر بالمغرب وقتل سنة 123ه/740م. ينظر: ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص224؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ج1، ص124.

[2] نسبة لقبيلة قشير من قبائل قيس عيلان ، قام بقيادة الجيش الاموي بعد مقتل عمه كلثوم وانهزم الجيش الاموي على يد البربر .ينظر :ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج5، ص120؛ ابن عذارى، البيان المغرب،ج2، ص65 .

[3] ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص56 ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج5، ص193، ص250– 251.

بنو يفرن الزناتية في مساندة ثورات الخوارج الصفرية في المغربين الاوسط والادنى بقيادة ابي قرة اليفرني[1]، إذ من المرجح ان الزناتيين شاركوا إخوانهم صفرية المغرب الأقصى في ثوراتهم ضد السيادة الأموية، واشتركوا معهم في معركتي الأشراف (123هـ/740م) وبقدورة (124هـ/741م)، وعلى الرغم من ان المصادر لم تشر صراحة إلى اشتراك بني يفرن في هاتين المعركتين[2]، إلا ان منطق الأحداث يدعونا إلى الاعتقاد بانضمامهم إلى جانب صفرية المغرب الأقصى إذ عملوا تحت قيادة خالد بن حميد الزناتي، كما ان أبا قرة اليفريني هو الذي تولى رئاسة صفرية زناتة عقب وفاة خالد بن حميد الزناتي، كذلك شارك أبو قرة اليفريني إلى جانب عبد الواحد بن يزيد الهواري في حصار مدينة القيروان سنة (125هـ/743م) وأسندت إليه قيادة الجيش في معركة الأصنام التي أوقع فيها حنظلة بن صفوان[3] والي المغرب بالبربر الصفرية وهزمهم، فر على إثرها أبي قرة اليفريني مع أصحابه إلى تلمسان وأخذ يتحين الفرص لمهاجمة الجيوش الإسلامية، مما لا شك فيه ان وقعة الأصنام حسمت الموقف لصالح العرب وحالت دون سقوط افريقية في أيدي الخوارج الصفرية، ومع ذلك فقد بدا واضحاً ان هؤلاء الصفرية يشكلون خطراً

---

(1) شيخ قبيلة بني يفرن البربرية ، تولى امر الخوارج الصفرية سنة(148هـ/866م) واعلن نفسه أميراً على مدينة تلمسان ، وكان قد هرب من امام الوالي العباسي على المغرب يزيد بن حاتم سنة 151هـ/870م، اذ تفرق جمعه. ينظر : الرقيق القيرواني ، تاريخ افريقية و المغرب ، ص105؛ ابن عبد الحكم، فتوح افريقية والاندلس، ص106.

(2) ابن خلدون، العبر، ج7، ص12 ؛ إسماعيل، محمود، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، القاهرة، 1986، ص77.

(3) وهو العامل الذي ولاه الخليفة هشام بن عبد الملك على مصر في سنة تسع عشرة ومائة ، قاد جموع قبائل البربر في المغرب وكان قد تغلب عليهم ورجع بعد ذلك إلى الشرق الإسلامي. ينظر: الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية والمغرب ، ص124 ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ، ج5، ص118 ؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ج1، ص62.

كبيراً على السـيادة العربية في المغرب ولهذا السـبب حرص كل من تقلد ولاية افريقية على محاربتهم، بيد ان الظروف السياسية المضطربة التي مرت بها بلاد المغرب أبان المدة الأخيرة من حكم الأمويين وبداية عصر العباسيين، هيأت المجال للبربر لمواصلة شن هجماتهم على العرب، فقد انتهز أبو قرة اليفريني فرصة استيلاء عبد الرحمن بن حبيب الفهري (أحد أحفاد عقبة بن نافع الفهري) على القيروان سنة (129هـ/746م)، وإقدامه على طرد حنظلة بن صفوان والي افريقية الشرعي، ليعلن الثورة ضد السلطة الأموية وانظمت إلى هذه الثورة أعداد كبيرة من الزناتيين ولم يتمكن عبد الرحمن بن حبيب من القضاء على هذه الثورة إلا سنة (135هـ/752م) إذ ألحق هزيمة ساحقة بأبي قرة وجموع اليفرنيين[1]، ولكن هذه الهزيمة لم تحل دون استمرارهم في الثورة ضد العرب فتحالف عبد الملك بن أبي الجعد اليفريني احد زعماء بني يفرن مع عاصم بن جميل[2] زعيم قبيلة ورفجومة الصفرية واشتركا سوياً في مهاجمة القيروان سنة (139هـ/756م) وتمكنا من الاستيلاء عليها، ولما اضطر عاصم بن جميل الخروج بقواته لتتبع حبيب بن عبد الرحمن الفهري [3] بنواحي قابس[4]وجبل الاوراس استخلف على القيروان عبد الملك

---

[1] ابن خياط، تاريخ خليفة، ج2، ص411 ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص61.

[2] من الخوارج الصفرية، استولى على القيروان سنة 138ه/755م، ثم سار لقتال حبيب بن عبد الرحمن الفهري في جبل الاوراس فأنتصر عليه. انظر: الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية والمغرب،ص124؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج5، ص118؛ ابن عذارى، البيان المغرب،ج1،ص62

[3] هو أحد أبناء عبد الرحمن بن حبيب الفهري مؤسس إمارة الفهريين في افريقية ، والتي دام سلطانها من سنة (129هـ/746م) حتى سنة (140هـ/757م) . ينظر: الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية والمغرب، ص123 ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج5، ص116؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص60 ؛ زغلول، سعد، تاريخ المغرب الإسلامي، ج1، ص313– 339.

[4] مدينة حصينة من بلاد الجريد في افريقية تمتاز بكثرة بساتينها وثمارها وتبعد عن البحر ثلاث أميال . ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص416 .

اليفرني، ثم تولى عبد الملك بن أبي الجعد اليفرني[1] زعامة صفرية افريقية عقب مصرع عاصم بن جميل وفي مدة رئاسته للصفرية ارتكب العديد من الجرائم والفضائع ضد أهل القيروان الأمر الذي أثار سخط الخوارج الاباضية بطرابلس، وفي تلك الاثناء كان محمد بن الاشعث[2] يوطد نفوذ الخلافة العباسية في افريقية إذ أسند إليه المنصور مهمة القضاء على ثورات الخوارج سواء من الصفرية أو الاباضية وذلك سنة (144هـ/761م)، وعلى الرغم من النجاح الذي حققه ابن الأشعث الخزاعي في هذا المجال، إلا انه لم يمكث طويلاً بافريقية إذ ثار عليه بعض قواد جيشه وأرغم في نهاية الأمر على اعتزال الولاية وذلك سنة(148هـ/765م)[3].

استغل بنو يفرن الزناتيين فرصة اضطراب جند العباسيين بافريقية وانقسامهم وبايعوا أبا قرة اليفرني إماماً عليهم سنة (148هـ/765م) ثم خرجوا في حشود هائلة نحو القيروان في سنة (150هـ/767م) بغية القضاء على الحكم العباسي وآثر الأغلب بني

---

[1] زعيم الخوارج الصفرية تولى الزعامة بعد مصرع عاصم بن جميل استطاع قتل حبيب بن عبد الرحمن والاستيلاء على القيروان كما استولى على أفريقية . ينظر : ابن عبد الحكم ، فتوح مصر واخبارها ، ص364؛ ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص114.

[2] هو محمد بن الاشعث الخزاعي ، والي عباسي تنقل بين الولايات الاسلامية، تولى مصر سنة(141هـ/759م)، ارسله الخليفة العباسي ابو جعفر المنصور لولاية افريقية والمغرب سنة(144هـ/761م)، لمحاربة الخوارج ، توفي اثناء غزوه لبلاد الروم. ينظر : ابن الاثير، الكامل في التاريخ ، ج4، ص503؛ ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج1، ص277؛ ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص7؛ الزركلي، خير الدين، الاعلام ، ط2، دار العلم للملايين ، (بيروت–1997م)، ج6، ص39.

[3] ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص73 ؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص114.

سالم التميمي[1] والي افريقية الجديد ان يخرج بقواته لمواجهة هذا الخطر وزحف بهذه القوات إلى الزاب فاضطر أبو قرة إلى الانسحاب غرباً نحو تلمسان وفي شهر صفر عام (141هـ/758م) دارت معركة ضارية على مقربة من القيروان بين الاباضية والصفرية، لقى فيها عبد الملك اليفرني مصرعه، وانتهت بانتصار ساحق أحرزه الاباضية على الصفرية وقتل عدد كبير منهم [2].

نتيجة للهزيمة التي لحقت ببني يفرن الزناتيين والصفرية، اضطر أبو قرة اليفرني إلى الاستقرار في موضع يقع قريباً من مدينة تلمسان وقام بتمصير المدينة وتعميرها وأحاطها بسور منيع [3]، واتخذ من هذا الموضع قاعدة لإمارة صفرية مستقلة في تلمسان اتسع نطاقها مع مضي الزمن، إذ تمكن من ضم صفرية المغرب الأدنى إلى جانبه بالإضافة إلى قبيلة مغيلة وكذلك الشريط الساحلي الغربي الممتد من المغرب الأوسط حتى المنطقة التي تلي تامسنا بالمغرب الأقصى [4].

---

[1] هو الاغلب بن سالم بن عقال بن خفاجة التميمي، امير من القادة الشجعان، هو جد الاغالبة ملوك افريقية ، واول من وليها منهم ، كان مع ابي مسلم الخرساني حين قيامه بالدعوة العباسية ولاه المنصور امارة افريقية سنة148هـ، فأقام في القيروان ووطد الامور ، وانصرف لقتال الصفرية .ينظر: اليافعي، ابو محمد عبد الله بن احمد بن علي بن سليمان، مرأة الجنان وعبرة اليقضان، دار الكتاب الاسلامي،(القاهرة–1993م)، ج1، ص361؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص112.

[2] ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص70– 71 ؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص162.

[3] البكري، المغرب، ص76– 77.

[4] مؤلف مجهول، مفاخر البربر، نشر ليفي بروفنسال، (الرباط– 1934م)، ص49 ؛ إسماعيل، محمود، الخوارج في المغرب الإسلامي، ص77.

وأثار قيام إمارة صـــفرية بالمغرب الأوســط قلق الخليفة العباســي أبي جعفر المنصـور (136–158هـــ/753– 775م) الذي كان يدرك تماماً ان هؤلاء الصـفرية يتأهبون لجولة تالية مع عرب افريقية، فأرســل جيشــاً عدته أربعون ألف مقاتل وثمانية وعشــرين قائداً يتقدمهم محمد بن الأشـعث الخزاعي والذي اسـند قيادة الجيش الى احد رجاله وهو الاغلب بن ســالم التميمي لملاقاة ابي قرة اليفرني ، وكيفما كان الأمر فإن الأغلب أراد الاندفاع وراء أبي قرة اليفرني بغية القضــاء على الصــفرية في عقر دارهم سواء في تلمسان أو في طنجة [1]، ولكن قادة جيشه اعترضوا على ذلك وقالوا له " **قد هرب أبو قرة الذي خرجنا إليه** " وأخذوا يتســللون من معسـكره عائدين إلى القيروان ولم يبقى مع الأغلب إلا نفر يسير فعاد أدراجه إلى القيروان ولقى مصرعه في السنة نفسها (150هـ/767م) [2] وبقي أبو قرة مقيماً في تلمسان وبدأ يعد العدة لجولة أخرى.

أما بالنسبة لولاية أفريقية فقد عين يزيد بن حاتم (المهلب بن أبي صفرة) خلفاً للأغلب بن سالم وعرف بشدة بأسه وشجاعته النادرة اختاره المنصور بالذات لقدراته العالية في قمع الحركات والثورات وتجاربه الموفقة مع الخوارج الازارقة في المشرق ، وحرصه على نشر الأمن في كل أنحاء المغرب[3]، ومن الجدير بالملاحظة أن فرقتي الاباضية والصفرية في المغرب تضامنتا لإعلان الثورة على العباسيين في المغرب، فقد ثار من الاباضية كل من أبي حاتم

---

[1] مدينة ازلية تقع على جبل مطل على شاطئ بحر الزقاق(مضيق جبل طارق)، بينها وبين البحر ثلاثون ميلا ، لها اسواق عامرة وصناع وفعلة ومزارع وغلات، وسكانها من بربر صنهاجة . ينظر: الادريسي، نزهة المشتاق ، ط1،ج2، ص529؛ الحميري، الروض المعطار، ص396 .

[2] ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج5، ص586 ؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1، ص70– 71.

[3] ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1، ص72.

يعقوب بن حبيب بن مدين (إمام الاباضية عقب وفاة إمامهم عبد الأعلى) بنواحي طرابلس [1]، وعاصم السدرائي في ستة آلاف رجل [2]، وعبد الرحمن بن رستم في خمسة آلاف رجل [3]، والمسور بن هانئ الزناتي في عشرة آلاف من الاباضية ومن الصفرية كل من عبد الملك بن سكرديد الصنهاجي ، وجرير بن مسعود وأتباعه من قبيلة مديونة وأبي قرة اليفرني في أربعين ألفاً من قومه وغيرهم، وقد اتجه هؤلاء الثوار جميعاً إلى مدينة طبنة [4] عاصمة الزاب وحاصروا عمر بن حفص الذي اتفق وجوده بها في هذه الآونة للإشراف على تحصيناتها وتفقد مصالحها وتعهده بالعناية بها بناء على أوامر تلقاها من الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور الذي أراد ان يجعل من هذه المدينة وما حولها من حصون سداً منيعاً أمام أي عدوان يوجه إليها من المغرب الأوسط ولما كانت مدينة طبنة تقع على الطريق الرئيس المؤدي إلى تلمسان مقر إمارة بني يفرن الصفرية، فقد عدّ اليفرنيون الزناتيون ان ما يقوم به عمر بن حفص عملاً عدائياً موجهاً ضدهم لذلك قرر أبو قرة ان يتحد مع الاباضية لمواجهة عدوهما المشترك [5]، واستغل الخوارج تفوقهم العددي على قوات عمر بن

---

[1] ابن خلدون، العبر، ج6، ص112.

[2] ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص75.

[3] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج5، ص599 ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص75 ؛ ابن خلدون ، العبر، ج6، ص112.

[4] عاصمة بلاد الزاب ومقر الولاة، وتقع في وسط الزاب الممتد من جنوب قسنطينة في الجزائر، مدينة حسنة كثيرة الماء والبساتين والزرع وعليها سور من تراب وبها صنائع وتجارة ويعمل أهلها كذلك بالتجارة ويجنون من ورائها أموالاً طائلة . ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص263؛ البكري، المغرب، ص50 ؛ الحميري، الروض المعطار، ص387.

[5] الحميري، الروض المعطار، ص386.

حفص التي لم تكن تتجاوز خمسة عشر ألفاً لتوجيه ضربتهم، وعندما أدرك عمر بن حفص أنه لا قبل له بكل هذه الحشود، لذا قرر ان يستعمل سلاح المال للخروج من هذا المأزق الصعب الذي وجد نفسه فيه، لاسيما في هذه الظروف السياسية الحرجة التي سادت المغربين الأدنى والأوسط منذ سقوط الخلافة الأموية هذا الاضطراب السياسي انعكست آثاره على الناحية الاقتصادية في المغرب، فقد كثرت المجاعات، وعم القحط في البلاد، وعانى البربر كثيراً من ضروب البؤس والفقر[1]، ويذكر ان حفص بعث مع رجل من قبيلة مكناسة يدعى إسماعيل بن يعقوب أربعين ألف درهم وكسى كثيرة[2] إلى أبي قرة اليفرني نظراً لكثرة أصحابه وخطورتهم مقابل ان ينسحب هو وقومه ومن انضم إليه من الخوارج الصفرية والاباضية من مواقعهم أمام طبنة ولكن أبا قرة عدّ العرض السخي المقدم له من قبل والي افريقية من باب الرشوة، ورفض قبولها وقال لإسماعيل المكناسي : " **بعد ان سلم علي بالخلافة أربعين سنة أبيع حربكم بعرض قليل من الدنيا ؟ لا حاجة لي به**"[3].

---

[1] ابن خلدون، العبر، ج6، ص88 ؛ سالم، السيد، عبد العزيز، تاريخ المغرب الكبير، (الإسكندرية– 1966م)، ص352.

[2] اختلف المؤرخون حول مقدار الرشوة التي عرضها عمر بن حفص على أبي قرة اليفرني فالرقم ذكره عدة مؤرخين. ينظر: ابن خلدون، العبر، ج7، ص12 ؛ النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب، نهاية الارب في فنون الأدب، نشر : د.مصطفى أبو ضيف، (الدار البيضاء– 1984م)، ج2ص243 ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج5، ص599 ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص76.

[3] المقري، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: د. إحسان عباس، (بيروت– 1968)، ج2، ص132.

وإزاء رفض أبي قرة الأموال، عرض إسـماعيل المكناسـي أربعة آلاف درهم فقط على ابنه (وقيل أخيه) نظير انسحابه من موقعه أمام طبنة هو ومن معه من بني يفرن، ولم يتردد ابن أبي قرة في الاستجابة لذلك وشـرع من ليلته في إقناع بني يفرن بالانسحاب " **فلم يعلم أبو قرة حتى انصـرف عنه أكثر أهل العسـكر فلم يجد بداً من أتباعهم** " [1].

أدى انسحاب اليفرنيين من مواقعهم أمام طبنة إلى انقسام الخوارج وتفككهم وتفرق كلمتهم وتمكن عمر بن حفص من الخروج من طبنة بعد ان ترك عليها احد قادته وهو المهنا بن المخارق بن غفار الطائي بيد ان أبا قرة لم يلبث ان عاود حصـار طبنة من جديد بعد ان رحل عنها أبو حفص لمحاربة أبي حاتم الاباضي وأصحابه، ويشير الرقيق القيرواني[2] إلى ان المهنا بن المخارق توسل بنفس الوسيلة التي اتبعها عمر بن حفص مع أبي قرة وهي إغراء أبي قرة بقدر كبير من المال ، فأرسل إليه يطلب منه الانصراف عنه، فرد عليه أبو قرة بقوله: ((**نصيبي منك ومن قبيلك أحرار، ولكن لا سبيل المعترك غنيمة المسلمين**)) واضـطر المهنا بن المخارق إلى خوض معركة عنيفة مع اليفرنيين انتهت بانتصاره عليهم في سنة (154هـ/771م) ولم تحل هزيمة اليفرنيين أمام طبنة عن مشاركتهم للخوارج الاباضية والصفرية في حصار عمر بن حفص بالقيروان [3] فقد خرج أبو قرة اليفرني على رأس أربعين ألف من بني يفرن متجهاً نحو القيروان، إذ أنضـم إلى جيوش الخوارج الأخرى التي كانت تحت زعامة أبي الخطاب الأباضـي، واحكم الجميع

---

[1] الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية والمغرب، ص143؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص76؛ النويري، نهاية الارب في فنون الأدب، ص234؛ إسماعيل ، محمود، الخوارج، ص79- 80.

[2] الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية والمغرب، ص143.

[3] ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص76 ؛ الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية والمغرب، ص143 ؛ ابن خلدون، العبر، ج7، ص12؛ النويري، نهاية الارب، ص236.

الحصار عليها وانتهى هذا الحصار بمصرع عمر بن حفص في منتصف ذي الحجة عام (154هـ/771م) وسقوط القيروان في يد أبي الخطاب المذكور [1].

ولكن سيطرة الخوارج على القيروان لم تستمر طويلاً فقد تمكن يزيد بن حاتم المهلبي والي افريقية الجديد من إلحاق الهزيمة بهم في معركة شرسة قتل فيها أبو حاتم أمام الاباضية، ويذكر ابن خلدون [2] أن أبا قرة اضطر إلى العودة إلى موطنه بتلمسان بعد ان هزم في المعركة.

يتضح مما تقدم الدور الكبير الذي لعبته قبيلة بنو يفرن الزناتية برفد حركة الخوارج الصفرية بالمغرب الإسلامي بالمال والسلاح، وكانت أحد أسباب استمرار الخوارج بثورتهم على الرغم من الكثير من الحملات العسكرية التي أرسلها الأمويون ومن بعدهم العباسيون من أجل تطهير هذه المنطقة من الخوارج، واستمر الخوارج بنضالهم ضد العباسيين في المغرب الإسلامي حتى استطاعوا تحقيق طموحاتهم بإقامة كيانات سياسية خاصة بهم في المغرب الإسلامي والتي تمثلت بدولة الخوارج الصفرية في سجلماسة سنة (140هـ/757م)[3] ودولة الخوارج الأباضية في تاهرت سنة(160هـ/776م)[4].

---

[1] الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية والمغرب، ص143؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص76؛ النويري، نهاية الارب في فنون الأدب، ص234؛ إسماعيل ، محمود، الخوارج، ص79– 80.

[2] ابن خلدون، العبر، ج6، ص88 ؛ سالم، المغرب الكبير، ص352.

[3] البكري، المسالك والممالك، ج2، ص332؛ ابن خلدون، يحيى ، بقية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق: عبد الحميد، (الجزائر–1981م)، ص114.

[4] ابن عذاري، البيان، ج1، ص332.

المبحث الثالث

مشاركة زناتة في ثورة أبي يزيد مخلد

بن كيداد الخارجي(321-334هـ/932-947م)

أولاً– الثورة في عهد القائم (322–334هـ/933–945م)

واجه الزناتيون بعد زوال الخطر العباسي عنهم ومالقوه من ويلات على يد ولاتهم, قوة جديدة لا يستهان بها اخذت تبسط نفوذها على كامل المغرب الإسلامي بعد ان استطاعت القضاء على دويلات الطوائف القائمة هناك هذه القوة هي قوة الفاطميين الذين بدءوا بالظهور على مسرح الاحداث السياسية في المغرب الإسلامي سنة(296هـ/908م) [1]. وبفضل الدعم الكبير الذي تلقته هذه القوة من قبائل كتامة وصنهاجة, وبفضل هذه المساعدات تمكن الفاطميون من القضاء على الامارات القائمة بالمغرب الإسلامي آنذاك الاغالبة والرستميين والمدراريين في سجلماسة[2] وبذلك اصبحوا وجها لوجه مع زناته التي تبنت أكثر بطونها الولاء للخوارج وقد تعزز العداء بين الطرفين نتيجة لاعتماد الفاطميين على كتامة وصنهاجة الاعداء التقليديين لزناتة لذلك أخذت قبيلة زناتة بإيجاد تحالفات مع أمويي الاندلس للوقوف بوجه الخطر الفاطمي الذي أخذ يهدد كيان زناتة في موطنها الاصلي بالمغرب الاوسط[3]. وهذا ما سنتناوله في الفصل الثاني من الدراسة .

---

[1] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج6، ص302؛ ابن خلدون، العبر ج7، ص16؛ إسماعيل، محمود، الخوارج، ص176.

[2] ابن عذاري، البيان، ج1، ص153؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص147.

[3] المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص157.

أما في المغرب الادنى معقل الدولة الفاطمية فقد سعى الزناتيون ولاسيما بنو يفرن الى تدعيم ثورة الخوارج النكارية ضـــد الفاطميين[1] والتي كان يقودها مخلد بن كيداد[2] استغل مخلد بن كيداد تذمر البربر من السياسة الاقتصادية التعسفية التي انتهجها الفاطميون بالمغرب الأدنى وبدأ يدعو الناس لقتال الدولة الفاطمية وكان ذلك سنة(321هـ/933م) عندما اقدم على اعلان الثورة ضد الفاطميين واجتمع الى ابي يزيد الخارجي القرابة وسائر الخوارج وبايعوه على قتال الفاطميين واتفقوا معه ان يصير الامر شورى بينهم ان تمكنوا من الاستيلاء على المهدية والقيروان [3].

انطلقت ثورة أبي يزيد سنة 322هـــ/944م اذ لم يجد أبا يزيد صعوبة في إثارة القبائل الاوراسية ضد نظام الحكم بسبب تعودهم على حياة التقشف مما مكنه من إقناعهم بحجة الاستحواذ والنهب والحصول على الغنائم بصورة شرعية [4]، بدأت الثورة بتنظيم غارات على باغاية اكتفى في بداية الأمر في ضواحيها بالحصول على الغنائم

---

[1] ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص216 ؛ ابن خلدون، العبر، ج7، ص26 ؛ الدرجيني، أبو العباس احمد بن سعيد، طبقات المشايخ بالمغرب المعروف بطبقات الاباضية، تحقيق: إبراهيم طلاي، قسطنطية، 1974، ج1، ص96؛ سالم، عبد العزيز، المغرب الكبير، ج2، ص62.

[2] وهو من بني يفرن على المذهب الاباضي النكاري, ويعرف بصاحب الحمار تميز بالزهد والتصوف, وكان مؤيد للأمويين ضد الفاطميين, اذ دخل معهم في وقائع عدة وقتل منهم خلق كثير وفرق مدنهم حاصر المهدية مرات عدة ولم يستطع الفاطميون مجاراته الا بعد الاستعانة بقبيلة صنهاجة، توفي سنة (336هـ/947م). ينظر: ابن النديم, ابو الفرج محمد بن ابي يعقوب اسحاق بن محمد, الفهرست, دار المعرفة (بيروت –1978)، ج1, ص265؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص212.

[3] ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص211؛ مؤنس، حسين، معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، (القاهرة– 1992م)، ص149–150.

[4] ابن عذاري، البيان المغرب, ج2, ص216.

بنهب بعض القصور وبسبب الغنائم ازداد عدد المتمردين مما شجعهم على الزحف على باغاية ولما تفاقم خطر الثوار على باغية تصـــدت القوات الكتامية المجندة في بعض النواحي لقبائل الزناتيين فجرت معارك استطاع خلالها أبو يزيد التصدي لعسكر كتامة مما أجبر المغيرين على باغية بالانســحاب فقرر أبو يزيد التخلي عن باغية والاتجاه باتجاه سـبتة وبمسـاعدة قبائل بني يفرن الزناتية اسـتطاع من الاسـتيلاء على المدينة المذكورة وسبى النسـاء ووزع الغنائم على أتباعه توزيعاً شـرعياً واحتفظ لنفسـه بالخمس كأنه يريد تأكيد طموحه بالإمامة [1] ثم اسـتولى بعد ذلك على مرماجنة وفي هذه المدينة اهدي إليه حماراً أشـهب فسمي صـاحب الحمار ثم أثار الهلع بمدينة الاربس القريبة من مرماجنة فأسـرع الكتاميين المقيمين بها إلى الاعتصـام [2]، في حين لاذ عاملها إسـحاق بن خليفة بالفرار [3].

ولكــن رد فعــل الخليفــة الفــاطمي القــائم(322-334هــ/933-945م) علـى انـدلاع الثـورة لـم يكـن سـريعاً إذ اعتمـد فـي أول الأمـر علـى الكتـاميين للتصـدي للثـوار والوقـوف بـوجههم وحمايـة مدينـة باغيـة ولكـن سقوط الاربـس أيقـظ القـائم مـن غفلتـه وحثـه علـى اتخـاذ إجـراءات عسـكرية مسـتعجلة ورغـم امتلاكـه لجـيش مـنظم لـم يكـن قـادراً علـى إخمـاد الثـورة بسـبب سـوء إدارتـه، فبقـي الخليفـة الفـاطمي القـائم بـأمر الله بموقـف الـدفاع فـي الوقـت الـذي كانـت حشـود قبائـل البربـر تكتسـح الـبلاد فكـر بعـد ذلـك الخليفـة القـائم بتطبيـق خطـة بتوزيـع جنـوده فـي مـدن مختلفـة لكـن

---

[1] ابن خلدون، العبر ، ج7، ص16؛ إسماعيل، محمود، الخوارج ، ص177.

[2] المقريزي، اتعاظ الحنفا ، ج1، ص75 ؛ الجنجاني، الحبيب، السياسـة المالية للدولة الفاطمية في المغرب، وزارة الشؤون الدينية، (المغرب- 1977)، ص56.

[3] ابن حوقل ، صورة الأرض، ص234؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج6، ص306-307.

هـذا التصـرف أدى إلـى تجزئـة الجيـوش، كتيبـة بقيـادة بشـر الخـادم وكتيبـة أخـرى بقيـادة ميسـور الخـادم لمـا أطلـع أبـو يزيـد علـى مـا اتخـذه القـائم مـن اسـتعدادات حربية أدرك الخطر المحدق به.

قام بمواجهة بشر في معركة هزم فيها بن كيداد، فركب حماره واخذ عصاه وهجم على الجيش فتمكن من دخول مدينة باجة ، ثم قام أبو يزيد بدعوة كافة القبائل البربرية إلى الانضـــمام إليه مطلقاً لهم العنان في القتل والنهب والحرق وإثارة الرعب فتأثرت القيروان بالغ الاثر بهزيمة بشر الخادم وأصبحت مهددة من قبل البربر، لم تمتلك المدينة وســـائل الدفاع القوية، أما صـــاحب الحمار فبدأ بالتوجه إلى القيروان وكان قد عهد للمنصـور بن منصـور الهواري بملاحقة جيش بشـر والهجوم على مدينة تونس[1] والتي تمكن عاملها الحســن بن علي في أول الأمر من الانتصـــار على البربر لكن بعد ذلك خسـر المدينة، ارتحل بعد ذلك الحســن بن علي[2] وأخوه عمار وبشـر إلى سـوسـة[3] وعســكر بها اســتجابة إلى أمر القائم في هذه الأثناء اقترب أبو يزيد من القيروان، وقد تدهور الوضـع بالقيروان ورغم إلحاح قاضــي الجماعة احمد بن بحر [4] أصـر حاكمها على البقاء في المدينة وعدم مقاتلة جيش أبي يزيد منتظراً نجدة ميسور الخادم الذي كان

---

[1] مدينة أزلية عظيمة على ســاحل البحر المحيط لها ســور متقن من الطين، وفيها دار لصـــناعة الســـفن وهي قاعدة المغرب الأدنى . ينظر: ابن حوقل، صـــورة الأرض، ص75 ؛ مؤلف مجهول، الاستبصار، ص120-121.

[2] وهو الحسن بن علي الكلبي، الذي ذاع صيته في صقلية . انظر: ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1، ص74.

[3] مدينة مغربية أسـسـها الفينيقيون في القرن التاسـع قبل الميلاد ، حاصـرها مخلد بن كيداد سـنة (333هـ/945م). ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ص94.

[4] قاضـــي القيروان وهو الذي ســيقتله القائد أبو يزيد مع القائد الفاطمي بن اســحاق . ينظر: ابن الأبار، الحلة الســيراء، ج2، ص82؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص245؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص214.

معســـكراً في الأخوين بين القيروان والمهدية، لكن البربر تمكنوا من اقتحام القيروان مما اضــــطر حاكمها إلى ملاقاة أبي يزيد فقامت كتيبة بربرية بقيادة أيوب بن خيران من محاصـــرته بقصـــره واعتقاله ليقوم ابو يزيد بقتله بعد ذلك بعد ان اســـتشـــار ابا عمار الأعمى[1].

كان سقوط القيروان يمثل انتصار باهر بالنسبة لأبي يزيد إلا أن هذا الانتصار رغم أهميته لم يكن حاســماً وذلك لأن القوة الفاطمية التي تزعزعت بصـــورة جدية نتيجة لثورة ابي يزيد مازالت قوية وذلك بسـبب صـمود المهدية وبناءً على ذلك فقد حرص أبو يزيد قبل شـن المعركة النهائية باستقلال انتصـاراته العسكرية في الداخل والخارج فوجه وفد إلى قرطبة برئاسة أحد فقهاء المالكية ليبلغ الخليفة الناصر (300-350هـــ/912-961م) الأموي في الأندلس بانه دخل في طاعته وكان ابي يزيد يرمي من وراء التحالف مع الناصر لتدعيم نفوذهم بالمغرب لا سيما اذ ما علمنا اغلب سكان المغرب كانوا على المذهب المالكي الذي يدين به الخليفة الناصـــر[2] وحظيت ســـفارة ابي يزيد إلى الخليفة الأموي الناصــــر الأموي بالترحاب من قبل الخليفة المذكور الذي أعلن تقديمه كل أنواع الدعم المادي والعســكري لهذه الحركة من أجل التصــــدي لأعدائه التقليديين الفاطميين لاسـيما إذا ما علمنا أن نفوذ الدولة الفاطمية أخذ بالتزايد في مناطق المغرب الإســلامي وأصبحوا على مقربة من الشواطئ الأندلسية [3] .

---

[1] وهو من أشد المناصرين إلى مخلد بن كيداد اليفرني والذي كان قد ناصره بثورته ضد الفاطميين في بلاد المغرب. ينظر: ابن الأبار، الحلة السيراء، ص94.

[2] المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص75 ؛ إسماعيل، محمود، الخوارج، ص177.

[3] البكري، المغرب، ص31 ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص216 .

هجم أبو يزيد على ميسور الخادم مباغتاً إياه فركب على جسر بالقرب من موقع القتال فلما رأى أبو يزيد هزيمة ميسرته فذهب هو ومن معه إلى موضع ميسور، فهرب أتباع ميسور إلى المهدية وتمكن أبو يزيد من قتل ميسور ثم شرح جسمه وعلقه على شجرة زيتون وأمر أبو يزيد بالتوجه إلى القيروان والمغرب والزاب، فقد أحرز أبو يزيد انتصاراً باهراً في المعركة[1]، فأصبح الطريق مفتوحاً نحو المهدية ، وأصبح نحو (20ميلاً) من منطقة الأخوين وهناك نصب أبو يزيد معسكره، فأمر الخليفة الفاطمي القائم بحفر خندق حول المهدية ووجه رسائل إلى الكتاميين يأمرهم بالقدوم إلى المهدية وحثهم على الجهاد في هذه الأثناء ترك أبي يزيد رجاله يعيثون فساداً في سوسة، وارتحل أبو يزيد من معسكره وحط رحاله [2] على بعد (15ميل) من المهدية، ثم التقى الجيش الفاطمي بعسكر أبو يزيد بقيادة ابنه الفضل، ودارت معركة في موضع يقال له الاشراف على بعد 8 أميال من المهدية قرب سوق الأحد، فقرر ابو يزيد بالاتجاه بنفسه نحو المهدية فوصل إلى مصلى العيد إذ هزم رجاله هناك وبعد ان وقف القتال لمدة أسبوع شن هجوماً آخر صد من قبل الفاطميين ليقوم بعد ذلك بحملة كبيرة على مدينة القيروان[3]، استغل ابو يزيد تعاطف المالكية معه فقام بمهاجمة مدينة القيروان التي ازمع فقهائها على مساندة حركته بسبب موقف المالكية المعادي للفاطميين الا ان أبا يزيد لم يتمكن من دخول القيروان مما عرض فقهائها الى انتقام الفاطميين، وتعرض ابو يزيد

---

[1] ابن الأبار، الحلة السيراء، ص194 .

[2] السلاوي، الاستقصا، ج1، ص207؛ العبادي، احمد المختار، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة ، (الإسكندرية- د.ت)، ص189.

[3] البكري، المغرب، ص151.

الى هزيمة اخرى بالقيروان وازداد حماس الفاطميين بإمكانية تحقيق النصـــر [1]، وكان القائم قد حرّض جنوده من خلال الخطب المؤثرة التي قرأها عليهم [2]، فتمكنوا من هزيمة أبي يزيد مرة أخرى أمام المهدية [3].

شدد بعد ذلك ابو يزيد الحصار على المهدية وزاد غلاء المعيشة حتى اكلوا الميتة والدواب ولكنهم لم يفتقروا إلى الماء والطعام لأن القائم بالله قد فتح المخازن الحاوية على مدخرات المقاتلين من الطعام والشراب وفي تلك الأثناء تفرقت العديد من القبائل البربرية المساندة لأبي يزيد لأنها لم تجد ما تنهبه انفصل عنه بنو مشير بناحية باغية والتحقوا بالفاطميين ، فاضـــطر أبو يزيد إلى الانســـحاب باتجاه القيروان[4]، لكن هذه المرة لم يســتقبله ســوى الأطفال فخرج إليه أبو عمار ليوبخه على انحلال أخلاقه فاظهر التوبة ولبس الصـــوف وركب الحمار، إلا ان هذه الهزائم لم تثني عزم أبو يزيد عن مواصــــلة القتال فقد قام بنهب نواحي باجة وتونس[5] وســـبي النســـاء ورجع إلى القيروان محمل بالغنائم تعرض بعد ذلك ابو يزيد الى محاولة اغتيال استطاع من احباطها بمساعدة ابنه فضل وكتب أهل افريقية إلى القائم الذي استمر بسياسة الدفاع يشكون ما تعرضوا لهم

---

[1] ابن عذاري، البيان ، ص218؛ التجاني، أبو محمد عبدالله بن محمد، رحلة التجاني، نشر : حسن حسني عبد الوهاب، (تونس– 1958)، ص371.

[2] ابن قتيبة الدينوري، عبدالله بن مسلم، عيون الاخبار، تحقيق: السيلاوي، دار الكتب المصرية، (القاهرة– 1925)، ص311.

[3] المصدر نفسه، ص312.

[4] ابن عذاري، البيان المغرب، ص216 ؛ ابن قتيبة الدينوري، عيون الاخبار، ص313.

[5] من اقدم المدن الاندلســـية بينها وبين قرطبة مئة فرســـخ. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص75. تونس : قام بخطها حسان بن النعمان عام 82هــ/701م، وقد سميت تونس لوجود صومعة الراهب فقام حسان بحفر قناة تصل المدينة بالبحر لتكون ميناء بحري ومركز للأسطول الإسلامي. ينظر: ابن قتيبة الدينوري، عيون الاخبار، ص317؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص142.

من نهب وقتل [1] فبعث إليهم الحسن بن علي ليلتقي بأصحاب أبي يزيد بوادي الرمل[2] فقتلهم وأخذ ما معهم من أموال ومواشٍ وكان رد فعل أبو يزيد فورياً فأرسـل ثلاث فرق عسكرية من القيروان بقيادة كل من يدرس المزاتي، موسى الصنهاجي، وأيوب الزويلي، فتوجه إليهم القائد الفاطمي الحسـن بن علي فألحق بهم هزيمة شـنعاء [3]، أما أيوب بن أبي يزيد فقد قام بمهاجمة القائد الفاطمي الحسن بن علي فاقتتلا فولا أيوب مهزوماً راجعاً إلى القيروان سنة (334هـ/945م)[4].

وهكذا لم يتحسـن وضـع أبو يزيد ولم يتمكن من فتح المهدية أما القيروان التي استقبله أهلها في بداية الأمر أصـبحوا ينتظرون اليوم الذي يتخلصـون منه فوقع اختياره على سوسة ولكن هذه المدينة كان ولاءها للفاطميين فزحف أبو يزيد بنفسه على سوسة في عز فصل الشتاء على رأس جيش عظيم محاصراً المدينة مستعملاً دبابات مصنوعة في القيروان ليتمكن رجاله من اقتحام السـور ناصـباً عليها المنجنيقات وسـلاسـل بها كلاليب كانت تربط في حوائط السـور ثم ترمى الكلاليب على الدبابات ليتمكن رجاله من السيطرة على المدينة وبقيت هذه المدينة محاصرة لمدة طويلة[5].

أما المهدية فقد مرض الخليفة القائم وأخذ يفكر فيمن يخلفه بعد موته وانقضـت عدة شـهور ومدينة سـوسـة في ذلك الحصـار [6]، وبذلك انتهت الجولة الاولى من الثورة أمام أسوار المهدية بوفاة الخليفة الفاطمي القائم بأمر الله (334هـ/945م).

---

[1] البلاذري، فتوح البلدان، ص144 ؛ ابن عبد الحكم، فتوح مصر وافريقيا، ص228.
[2] وهو وادي واقع بين زغوان وبوفيشة واسمه اليوم وادي الحمام. ينظر: مؤلف مجهول، الاستبصار، ص129.
[3] ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، ص332.
[4] ابن خلدون، العبر، ج6، ص32 ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص432.
[5] ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، ص334؛ عزيز، احمد، تاريخ صـقلية الإسـلامي، ترجمة: أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، (تونس- 1980م)، ص46.
[6] البكري، المغرب، ص35.

ثانياً- الثورة في عهد المنصور الفاطمي (334-341هـ/945-952م)

فلم تمض سـوى سـبعة أيام على دفن القائم بأمر الله الفاطمي حتى أخذ ابنه إسماعيل المنصور بإجراء الاستعدادات اللازمة لقيادة العمليات الحربية ضد أبي يزيد ففي سنة (334هـ/946م) ذهب الخليفة إلى دار الصناعة بالمهدية [1]، وأمر يعقوب بن إسحاق[2] أن يشحن ستة مراكب بالرجال وان يسير بهم سراً إلى سوسة ثم أمر الكتاميين ان يوافوه بالسلاح والعدة بقرية بكة وتبعد ميلين عن المهدية دون ان يخبرهم بنواياه الحقيقية ثم توجه الخليفة إسماعيل المنصور بنفسه إلى سوسة بمجموعة من الكتاميين ولما وصلت القافلة إلى المنطقة الواقعة في منتصف الطريق نصحه قادة الجيش بعدم قيادة الجيش بنفسه فعهد إلى كبون بن تصولا بقيادة كتيبة تضم (400) فارس لتتجه الى مدينة سوسة ثم رجع هو وخدمه إلى المهدية [3] فبقي بين كبون بن تصولا والعدو عشرة أميال، وبات يعقوب بن إسحاق بمراكبه في البحر عند مدينة سوسة فلما أصبح الصباح الصق مراكبه بالبر وانزل رجاله بالقرب من البوابة الشمالية لمدينة سوسة، وكان ذلك في يوم كثير الغمام مظلم الجو فلما ظهرت الشمس من الغمام ظهرت خيول الفاطميين للبربر فركب أبو يزيد بنفسه ونصبت أعلامه وضربت طبوله ووقف أهل سوسة مع الفاطميين وصاروا معسكراً واحداً مع الفاطميين فالتحم القتال واشتد الصراع فدخل الفاطميين من باب سوسة الجنوبي فالتقوا أبا يزيد وأشعلوا حطباً فاشتعلت النيران فتركها

---

[1] وهي الدار التي كانت تصنع بها سفن الجيش الفاطمي في مدينة المهدية . ينظر: ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، ص349.

[2] وهو أخو خليل الذي أسره أبو يزيد في القيروان وأعدمه. ينظر: ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1، ص138؛ ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، ص351.

[3] المقريزي، اتعاظ الحنفا، ص66؛ المقريزي، كتاب المقفى الكبير، ص170.

هارباً إلى القيروان وهرب أتباع أبي يزيد من كل جانب [1]، ما أن علم إسماعيل المنصور بالانتصار الذي حققه جيشه في سوسة حتى خرج بنفسه لمطاردة المتمردين فسلم إلى جؤذر الحاجب[2] مفاتيح الخزينة وفوض إليه جميع السلطات وجعله على رأس قصر الخلافة ثم ارتحل إلى سوسة فالتحق به زيادة الله بن عبدالله بن القديح وجماعة من الذين كانوا بالقيروان ملتمسين العفو منه فلما وصلوا القيروان وجد جماعة من أتباع أبي يزيد [3] الذين أخذوا يتوافدون على القيروان تضامنا مع أبي يزيد، أما الخليفة إسماعيل فقد حفر خندقاً وأخذ ينتظر قدوم عدوه فاقترب أبو يزيد من القيروان ونصب معسكره بالقرب منها وحمل على الفاطميين بهجوم استطاعوا صده ثم عاود البربر بالهجوم على الفاطميين لاعتقادهم بإمكانية التغلب على الفاطميين إلا ان الخليفة الفاطمي ترك خيامه وحمل عليهم واقبل على أبي يزيد فألقى الرعب في قلبه وجعله ينكص على عقبيه[4].

أما في المعسكر الفاطمي فقد كان الوضع حرجاً للغاية لكن الخليفة إسماعيل الذي كان مقداماً ومخططاً ماهراً ، وحرص من ذلك الحين على التصدي لهجمات البربر المتكررة فتحصن وراء الخندق المستند إلى أسوار القيروان وكانت المؤونة تأتيه من المهدية وسوسة وتمكن بذلك من تحطيم معنويات خصمه، ثم عاود مخلد بالهجوم على

---

(1) ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، ص357.

(2) يعد من الفتيان الصقالبة، كان يضع الخطط من أجل التخلص من الحاجب المخلصي الذي يعمل لديه بصفة مساعد في عهد الخليفة الفاطمي المستنصر، وكانت نيتهم أيضاً قتل الخليفة هشام بن الحكم. ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص253.

(3) ابن خلدون، العبر، ج7، ص17؛ ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، ص358.

(4) الطبري، تاريخ الرسل والملوك،ج2، ص97 ؛ ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، ص362.

الفاطميين مقترباً من القيروان [1]، أما إسماعيل فامتنع عن قتاله وكأنه في حالة حصار باقياً خلف أسوار القيروان وبذلك اتجه مخلد إلى باب اصرم أحد أبواب القيروان[2].

فقام البربر بإشعال النار مما اضطر الفاطميين إلى الخوض بمعركة استمرت لعدة أيام ولم تسفر عن نتائج حاسمة بعد ذلك جاء جنود آخرون لتعزيز قوة الفاطميين فتمركزوا أمام باب تونس وجرت معركة ضارية فأمر الخليفة بعض قادته بأخذ مائة فارس وبمهاجمة القيروان [3]، فولوا البربر مدبرين وتوافدت على الخليفة إسماعيل مساعدات عسكرية من سوسة ليقوم أبو يزيد بحملة أخرى على الفاطميين لم تجد نفعاً فقام بتغير خطته العسكرية بشن غارات على ضواحي سوسة والمهدية لإثارة الخوف بالجنود الكتاميين على مصير عائلاتهم ولكن جوذر تمكن من تهدئة روع العائلات الكتامية كما وجه إسماعيل جيشاً كبيراً إلى جزيرة جمة [4] ليقوم أبو يزيد مرة أخرى بمهاجمة القيروان دون ان يحقق مبتغاه واقترح إيقاف القتال بالإفراج على النساء والعائلات البربرية المعتقلة في المهدية لكن رجاله نصبوا كمين للجنود الفاطميين فاستأنف القتال مرة أخرى [5]، ودخل سنة (335هـ/947م) دون ان

---

(1) البكري، المغرب، ص54؛ الفيلالي، العلاقات بين الدولة الأموية، ص182.

(2) وهم لاتينيون ينسبون إلى ماركوس. ينظر: ابن الأبار، الحلة السيراء، ص144؛ الحميري، الروض المعطار، ص284.

(3) ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص124؛ ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، ص367.

(4) جمة: وهو الاسم القديم للمهدية. ينظر: المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص158؛ ابن حيان، المقتبس ، ص186.

(5) ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص215؛ مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص49.

تحسم المعركة لصالح أي من الطرفين بعد ذلك عزم إسماعيل على المجازفة فأخذ بزمام المبادرة وخاض معركة كبيرة مع أبي مخلد بن كيداد وانتهت بانتصار الجيش الفاطمي انتصاراً ساحقاً[1] وجرت عدة معارك ومناوشات بين الطرفين وبدأ أتباع أبي يزيد بالانهزام والفرار نتيجة لتكرار هزائم جيش أبي يزيد فاستولى الفاطميين على معسكر أبي يزيد وأخذوا منه الغنائم والأموال وقد سحقوا الحشود البربرية وبذلك نجحت الدولة الفاطمية في التخلص من الهلاك والسقوط على يد ابي يزيد، وما ان رجع إسماعيل إلى معسكره لقب بالمنصور بالله نتيجة لهذا الانتصار موجهاً إلى المهدية ثلاثة من عبيده الذين شهدوا المعركة ليبلغوا جوذر بالنصر وأمر قاضيه محمد بن أبي المنظور[2] لتوزيع الغنائم والأموال الكثيرة على فقراء القيروان وكلف جعفر الحاجب[3] بإقامة صلاة الجمعة بجامع القيروان وإلقاء خطبته معلناً فيها عن نصر الخليفة وإسقاط الجباية من جميع الضرائب الشرعية والخاصة مما أدى إلى انتعاش الأنشطة الزراعية والتجارية التي عطلتها الحرب وهذا ما طمئن نفوس أهل القيروان[4].

رغم النصر الذي حققه المنصور بمعركة القيروان إلا أنه أصر على قتل مخلد وملاحقته لذلك قاد الجيش بنفسه عبر المناطق الجبلية في الاوراس وأخضع أتباع ابا

---

[1] ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص76.

[2] ولاه المنصور القضاء سنة (324هـ/935م) وتوفي في سنة (331هـ/942م). ينظر: ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر (بيروت–1977) ، ص157.

[3] ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، ص223.

[4] ابن قتيبة الدينوري، ص380؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ص280.

يزيد من الزناتيين وعمل بعد ذلك على بناء مدينة بموقع معسكره المحاطة بخندق وسماها المنصورية[1].

وقام الخليفة الفاطمي بقطع الطريق على صاحب الحمار بأن ذهب قبله إلى باغية وأمر بتوزيع الأموال على أهلها فأتاه مبعوثان من قبل محمد بن خزر أمير مغراوة يعلن فيها الطاعة فوافق المنصور وابلغهما بأنه سيعطيه عشرين حملاً من الذهب ان هو قبض على صاحب الحمار وسلمه حياً أو ميتاً[2]، وتوجه الجيش الفاطمي باتجاه مدينة الزاب ليستمر بمطاردة أبي يزيد الذي استمر بالهرب من المنصور، فقرر الخليفة الذهاب إلى المسيلة وقضى هناك أسبوعان بعدها ترك المسيلة متوجهاً إلى جبل سالات وعندما علم أبو يزيد بتوجه الخليفة الفاطمي هرب باتجاه الصحراء [3] .

وقد عانى الجنود الفاطميون من نفاد المؤن وقد مات عدد من خيولهم بسبب قلة العلف ومات عدد من جنوده بخوضهم طرق لم يسلكها جيش قط ونظراً لذلك قرر المنصور ان يتجه إلى صنهاجة [4]، وعانى الجيش الفاطمي من البرد في اثناء توجهه إلى صنهاجة وهناك دخل في طاعته زيري بن مناد الصنهاجي[5] واستمر الخليفة بالسير

---

[1] ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، ص373 ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ص261.

[2] الحميري، الروض المعطار، ص344 ؛ الفيلالي، العلاقات السياسية، ص221.

[3] البكري، المغرب، ص172.

[4] المقدسي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن احمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط2، مطبعة بريل، (ليدن– 1906)، ص216.

[5] ملك قبيلة صنهاجة، وهو جد المعز بن باديس، كان قد سيطر على مدينة تلمسان وتاهرت، بنى مدينة أشير وحصنها، كان قائماً بالدعوة العبيدية ومشهوراً بالشجاعة وحسن السيرة ، قتل في حرب

وأصـيب هناك بمرض نتيجة سـوء الأحوال الجوية وفي أثناء مدة مرضـه نشـب نزاع بين أبي يزيد ومحمد بن خزر [1] الذي كان قد دخل في طاعة المنصــور فوجه إليه رســالة يعلمه بمكان صـاحب الحمار[2] وذلك بعد ان قامت جماعة من القبائل البربرية بمهاجمة سوق تابع لهم [3].

فقد أثر هذا الانضـمام لقبائل مغراوة مع صـنهاجة أثر بالغ في انتصــار الخليفة الفاطمي على أبي يزيد مما اضـــطره إلى الاختباء في جبل ســـالات أو التوغل في الصـحراء فاستأنف دعوته الدينية ضـد الفاطميين مما أدى إلى استمالة عدد من القبائل البربرية مما دعاه إلى الخروج بالقرب من المسيلة والاستعداد لحصارها[4].

وفي هذه الأثناء أدرك المنصــور بأن خصـــمه مخلد أصـــبح في متناوله وادرك ضرورة الاستيلاء على الجبال وانتظر انقضـاء فصـل الشتاء ليستأنف عملياته العسكرية فخرج المنصور على رأس جيش يضم (400) فارس وخرج معه (500 صنهاجي) بقيادة زير بن مناد وهجم المنصـــور على أبي يزيد الذي حاول نصـــب الكمائن واحتدم القتال بينهم وأوشـــك صـــاحب الحمار الســـقوط بالمعركة وتمكن من الفرار مرة أخرى فأدركه

مع أموي الأندلس سنة (360هـ/970م)، حكم لمدة (26) سنة . ينظر: ابن عذارى، البيان المغرب، ج2، ص218.

[1] ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص62؛ أيوب ، إبراهيم، التاريخ الفاطمي السـياســي، الشـركة العالمية للكتاب، (بيروت– د.ت)، ص29–30.

[2] ان سـبب النزاع يعود إلى المعارضـة القديمة بين الاثنين. ينظر: ابن خلدون، العبر،ج7، ص14؛ الفيلالي، العلاقات السياسية، ص186.

[3] مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص16.

[4] ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، ص406؛ طقوش، محمد سـهيل، تاريخ الفاطميين في شـمال افريقية ومصر وبلاد الشام دار النفائس، (بيروت–2001م)، ص141.

مجموعة من فرسان الفاطميين ومعه زيري بن مناد الصنهاجي فعقر الصنهاجي جواد أبي يزيد وقتل ابنه يونس وطعن أبي يزيد بوركه وكتفه فمال واحتضنه رجاله وتمكن من الفرار وأرسل المنصور في ذلك اليوم الفاً وسبعين رأساً توجهت إلى المهدية وأشاد بهذا الانتصار جعفر بن حوشب الذي حضر من اليمن إلى هذه المعركة ونظم قصيدة قال فيها:

يهنأ لك النصر فيما رمت من سبب — يا سيد الخلق من عجم ومن عرب

في كل يوم يرينا الله معجزة — من نصره لك، تجلو غمة الكرب

وانت في كل حال تبتني رتباً — في المجد فازدد علا في المجد والرتب[1]

وقد حثت الهزيمة أبو يزيد على الاعتصام بحصون جبل عقار الطبيعية وأوقف القتال الخليفة الفاطمي لمدة أسبوعين ثم استأنف الهجوم فسار من المسيلة يوم الجمعة غرة شهر رمضان (336هـ/ 947م) وأصبحت المسافة بينه وبين أبي يزيد ستة أميال وارتدى الخليفة زي الحرب ومعه القبائل الموالية له قاصداً أبي يزيد سالكاً الجبال والطرق التي لا يسلكها الخيل ونزل راجلاً قاصداً أبي يزيد[2] ، فدارت معركة بينهما حسمت أولاً لصالح المنصور اضطر بها مخلد إلى الهروب إلى قمم الجبال وانشغل الجنود الفاطميين بالسلب والنهب مما أزعج المنصور من سلوكهم واستفاد الخصم من تمركزه بقمم الجبال فتفوقوا على خصومهم وأجبروهم على الانسحاب[3].

---

(1) ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، ص409– 411.

(2) ابن خلدون، العبر، ج6، ص27؛ طقوش، تاريخ الفاطميين ، ص140.

(3) المقريزي، المقفى الكبير، ص168 ؛ سالم، المغرب الكبير، ص507.

وبذلك فقد فشـــل الخليفة الفاطمي من اقتحام الجبل المنيع الذي كان يتركز به جنود وقوات أبي يزيد ، مما اضطره إلى إيقاف الحرب خلال شهر رمضان وبهذه المدة أمر بعمل قفص من خشـــب محمول على بكرتين لغرض إدخال مخلداً فيه عند القبض عليه وإدخال قردين ذكر وأنثى معه [1]، ثم اتجه المنصور باتجاه كيانة وصلى هناك بعد ان بنى مصلى فيها وأقام شعائر صلاة العيد وأشار بخطبته إلى توليه الخلافة والإمامة بعد وفاة القائم [2] ومن قلعة كيانة إلى المرحلة الأخيرة من مطاردة أبي كيداد وقطع المنصـــور جميع الطرق المؤدية إلى القلعة وأمر بحفر الخندق وتمثل رد فعل أبي يزيد بشن غارات قصيرة المدى واستمرت الهجمات من كلا الجانبين إلى ان شن أتباع أبي يزيد هجوم على خندق المنصور إذ قسم أبي يزيد جيشه على ثلاث فرق ميمنة وميسرة والقلب، وبعد أن هزمت ميمنته وميســـرته هرب باتجاه الخندق مفترقين إلى ثلاثة فرق وهزمت الميسرة والميمنة وهرب أبي يزيد باتجاه الخندق[3]، وتعددت الحملات دون نتائج حاســمة وفي هذه الأثناء أرســل أبي يزيد ابنه فضــل إلى ابن محمد بن خزر ليطلب نصرته فوافق لكن أبوه محمد بن خزر وأخوه أنكروا عليه ذلك لكنه لم يهتم وخرج لنصرة مخلد بن كيداد فاتفق المنصور مع زيري بن منادة على شن هجمةً أخرى فتعرضوا إلى الحجارة وأرهقتهم الحرارة وبقي المنصـــور وحيداً وثار عجاج مظلم لكنه اقتحم القلعة واســـتولى على الجزء العلوي منها الواقع في أعلى جبل كيانة واضـــطر أبو يزيد إلى التحصن بأحد القصور الأثرية القديمة وعند ظلام الليل أمر المنصور بإشعال النار حول القصر وطلب من أتباع أبي يزيد الاستسلام وحملوا حملة واحدة وفي وسطهم أبي يزيد

---

[1] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج6، ص305؛ مؤلف مجهول، الاستبصار، ص114.
[2] ابن قتيبة، عيون الأخبار، ص407.
[3] ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج2، ص304.

وصـــاحبه أبا عمار (الأعمى) اختلطوا معه وفي تلك المعركة ســقط أبو عمار الأعمى صـــريعاً وجماعة من القوم وعثر على أبي يزيد عند طلوع الشـــمس ملقى على الأرض ومصــاب بجراح خطرة فأمر المنصــور بمعالجته ووضــعه تحت حراســة مشــددة لكي يســـتفســـر منه عن غايته من التمرد إلا ان أبي يزيد توفي ليلة الخميس 28 محرم 19 أغسـطس(336هـ/947م) متأثراً بجراحه لكن المنصـور أمر بصـلخ جلده وحشـي بالتبن بعد ان أخرجت أحشاءه وملح حتى ظهرت صورته كأنها ناطقة[1].

وبعد انتهاء هذه المعركة وجه المنصـــور رســـالة إلى قدام الثعلبي عامله على القيروان ليخبره بالانتصـــار وليعلن عند صـــلاة الظهر تولي المنصـــور الخلافة رســـمياً وتلقبه أمير المؤمنين، لأن المنصـــور قد أخفى وفاة والده القائم بأمر الله لكي لا تتزعزع أركان الدولة الفاطمية.

(1) المقريزي، المقفى الكبير، ص150 ؛ أيوب، التاريخ الفاطمي السياسي، ص29– 30.

المبحث الأول

موقف قبيلة زناتة من الوجود الفاطمي في المغرب خلال عهد عبدالله المهدي (298-322هـ/932-971م)

أولاً- قيام الدولة الفاطمية في بلاد المغرب

بعد انحلال الدولة الأموية في بلاد المشرق الإسلامي ومجيء العباسيين للحكم سنة(132هـ/749م) [1] لم يكن بمقدور الدولة العباسية الفتية التي خسرت كثير من إمكاناتها المادية والعسكرية في الصراع مع الأمويين أن تعيد سيطرتها على بلاد المغرب الإسلامي الذي أصبح ملجأ للفارين من بطش السلطتين الأموية والعباسية على حد سواء، لذلك وجدت هذه العناصر في بلاد المغرب الإسلامي ملاذ آمن لتحقيق طموحاتها السياسية التي فشلت في تحقيقها في جهة المشرق، ولحفظ ماء الوجه اكتفى العباسيون بالتبعية الاسمية التي كان يقدمها لهم أمراء الأغالبة في منطقة المغرب الأدنى (افريقية) وجعلوا من حدود هذه الدولة حد فاصل بين ممتلكاتهم في المشرق وبلاد المغرب الإسلامي[2]، أما بقية مناطق المغرب الإسلامي فقد شهد قيام كيانات سياسية مستقلة عن سلطة العباسيين كالدولة الرستمية في تاهرت والتي أسست في سنة (160هـ/776م) من قبل الخوارج الأباضية [3] ودولة بني مدرار التي

---

[1] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، تاريخ الخلفاء، تحقيق وائل محمد الشرقي، دار الكتب العلمية، (بيروت- 2008) ، ص164-165.

[2] الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية والمغرب، ص221 ؛ رضا، محمد سعيد ، ود.محمد بشير العامري، تاريخ المغرب والأندلس في العصر الإسلامي، (بغداد-2002)، ص133-134.

[3] ابن عذاري ، البيان المغرب،ج1، ص196.

أسسها الخوارج الصفرية في سجلماسة سنة (140هـ/757م)[1] فضلاً عن دولة الأدارسة التي يعود الفضل في تأسيسها إلى إدريس بن عبدالله الحسني في مدينة فاس سنة (172هـ/788م) [2].

في غضون هذه الظروف الصعبة التي يمر بها المغرب الإسلامي ظهرت دول جديدة على مسرح الأحداث في البلاد المذكورة ممثلة بالفاطميين، إذ تشير المصادر التاريخية [3] أن المؤسس الحقيقي لهذه الدولة هو شخص كوفي الأصل يدعى أبو عبدالله الشيعي، قدم إلى اليمن التي كانت آنذاك مركز للدعوة الإسماعيلية والتقى هناك بشخص يدعى ابن حوشب [4] ودرس على يده أصول الفقه الإسماعيلي، أرسله بعد ذلك ابن حوشب إلى بلاد المغرب لينشر الدعوة الإسماعيلية هناك لاسيما إذ ما علمنا بأن أبو عبدالله الشيعي لم يكن أول دعاة الشيعة في المغرب، فقد سبقه في هذا العمل دعاة آخرون مهدوا السبيل لنجاح دعوته وهؤلاء الدعاة هم كل من عبدالله بن علي المعروف بالحلواني والحسن بن القاسم المعروف أبو سفيان، ويذكر ابن خلدون [5] إن هذين الداعيتين أرسلهما الإمام جعفر الصادق (υ) لنشر الدعوة الشيعية هناك

---

(1) البكري، المسالك والممالك، ج2، ص332.

(2) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص25.

(3) مؤلف مجهول، الاستبصار، ص203؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ص113-114 ؛ ابن خلدون العبر ، ج4، ص38.

(4) هو رستم بن الحسين بن فرج بن حوشب الكوفي، أحد دعاة الإسماعيلية في اليمن. ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج6، ص450.

(5) العبر، ج4، ص37.

إذ قال لهما ان المغرب أرض بور فأذهبا وأحرثها حتى يجيء صاحب البذر [1].

بدأ أبو عبدالله الشيعي رحلته إلى المغرب بالتوجه إلى مكة لأداء فريضة الحج، وهناك التقى رجال من قبيلة كتامة ووجد لديهم معرفة بالمذهب الإسماعيلي واستطاع أن يجذبهم لدعوته بما عرف عنه من حلاوة اللسان وسعة العلم، وهذا ما أكده ابن عذارى[2] حينما قال: " **ولم يزل يستدرجهم ويخبلهم بما أوتي من فضل اللسان والعلم والجدل إلى أن سلب عقولهم بسحر بيانه**"، وقبل أن يغادر الكتاميين إلى بلادهم، سألوا أبا عبدالله عن مقصده، فأخبرهم أنه ينوي الذهاب إلى مصر دون ان يطلعهم على مقصده، وذكر لهم أنه ينوي التدريس في البلاد المذكورة، لذلك عرضوا عليه التدريس في بلادهم بعد أن مالت أفئدتهم إليه [3].

وبذلك تولدت القناعة لدى أبو عبدالله الشيعي بإمكانية نجاح دعوته بالمغرب الإسلامي، لأنه وجد أناس مخلصين على إطلاع واسع بأحقية أهل البيت بالخلافة كما أن هؤلاء الناس ليسوا أشخاصاً وإنما زعماء في قبائلهم ولاسيما قبيلة كتامة التي كانت تشكل ثقلاً اجتماعياً في بلاد المغرب والتي بشر المهدي الموعود بتأييدها للدعوة الإسلامية[4].

---

[1] المقريزي، اتعاظ الحنفا ، ج1، ص41.

[2] البيان المغرب، ج1، ص125.

[3] الداعي إدريس، عماد الدين ، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب (القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار)، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي،(بيروت-1985)، ص85 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص51.

[4] مؤلف مجهول، الاستبصار، ص203.

وصـل أبو عبدالله إلى أرض المغرب حدود سنة(288هـــ/900م) وبذلك بدأت المرحلة السرية من دعوته التي اعتمدت بالأسـاس على التبشـير بظهور الإمام الموعود، ثم انتقل بعد ذلك إلى التبشـير بدعوته بشـكل علني بعد أن وجد الظروف ملائمة لذلك، استمر أبو عبدالله بالدعاية لمذهبه لمدة ثلاث سنوات استطاع خلالها اجتذاب أعداد كبيرة من البربر الذين أقبلوا على دعوته بشكل كبير لاسيما بعد أن أضفى أبو عبدالله نوعاً من القدســية على شــخصــيته من خلال التنبؤات التي كان يطلقها بين الســكان المحليين البسطاء، وقد وجدت هذه التنبؤات صـدى كبير لدى أتباعه من البربر [1]، وقد علق ابن الأثير[2] على ذلك حينما قال: " **فســـأله قوم من كتامة أن ينزل عندهم حتى يقاتلوا دونه، فقال لهم أين يكون فج الأخيار ؟ فتعجبوا من ذلك ولم يكونوا ذكروه له، فقالوا: عند بني ســليان، فقال: إليه نقصــد ثم نأتي في كل قوم منكم في ديارهم ونزورهم في بيوتهم، فأرض بذلك الجميع، وســـار إلى جبل يقال له: أنكجان فيه فج الأخيار فقال هذا فج الأخيار وما ســـمي إلا بكم، ولقد جاء في الآثار ان للمهدي هجرة تنبؤ إلى الأوطان ينصــره فيها الأخيار من أهل ذلك الزمان، قوم مشــتق اســمهم من الكتمان، فأنهم كتامة وبخروجكم من هذا الفج يسمى بفج الأخيار**".

وعلى الرغم من الدعاية الكبيرة التي استعملها أبو عبدالله الشيعي من خلال التنبؤ بالغيبيات وانضـــمام أعداد كبيرة من البربر له إلا أن ذلك لا يعني عدم وجود عناصـــر معارضـــة له داخل افريقية لاســيما من قبل الفقهاء في مدينة القيروان التي كانت تدين بالمذهب المالكي، وترتب على ذلك انقســام المجتمع بين مؤيد ومعارض إلا أن الأغلبية العظمى من السـكان كانت مؤيده له، وترتب على ذلك حدوث نزاع كبير بين قبيلة كتامة

[1] ابن خلدون، العبر، ج3، ص39 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص56-57.

[2] الكامل في التاريخ، ج6، ص451.

وباقي قبائل البربر مما عرض أبو عبدالله إلى محاولات اغتيال عدة لكنه نجا منها وتخفى مدة من الزمن [1] كما حاول بعض رجال الدين مناظرته وقبل بذلك إلا أن قبيلة كتامة رفضت ذلك لأنها عدت ذلك مساساً بمكانته الدينية [2].

وصلت أخبار أبا عبدالله الشيعي إلى الأمير الأغلبي إبراهيم بن أحمد بن الأغلب، فكتب إلى عامله على مدينة مسيلة [3] يسأله عن أمره فصغر الأخير أمره وذكر له أن إنسان عادي يلبس الخشن ويأمر بالعبادة فسكت عنه[4].

انتقل بعد ذلك أبو عبدالله من مرحلة نشر الدعوة إلى مرحلة أخرى أكثر خطورة هي مرحلة الجهاد الحربي مستغلاً الظروف الصعبة التي كانت تمر بها إمارة الأغالبة بسبب الصراع على السلطة بين أفراد البيت الأغلبي، وقد حاول آخر أمراء الأغالبة زيادة الله الثالث (290-296هـ/902-908م) الوقوف بوجه طموحات أبي عبدالله الشيعي، ودخل معه في معارك عدة انتهى أغلبها لصالح أبي عبدالله الشيعي لعل أبرزها هذه المعارك هي معركة كينونة سنة (298هـ/910م) التي انتهت لصالح أبي عبدالله وأحدثت اختلال في موازين القوى لصالح القوة الفاطمية، إذ تمكن الجيش الفاطمي بعد ذلك من الاستيلاء

---

[1] الداعي إدريس، عيون الأخبار، ص101.

[2] ابن الأثير، الكامل، ج6، ص451.

[3] مدينة أزلية في افريقية تشتهر بخصب أراضيها وكثرة زراعتها وسعة أسواقها، جدد بنائها علي بن حمدون الجذامي في عهد الخليفة عبدالله المهدي الذي استعمله عليها حتى هلك في فتنة أبي يزيد. ينظر: البكري، المسالك والممالك، ج2، ص229؛ مؤلف مجهول، الاستبصار، ص166؛ الوزان، الحسن، وصف افريقية، ص52.

[4] ابن الأثير، الكامل، ج6، ص451 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1،ص58.

علـى كـل أفريقيـة كقفصـة وقسـطنطينة والاربـس ثـم احتـل مدينـة رقـادة وأنهـى جهـوده بالاسـتيلاء علـى مدينـة القيـروان سـنة (296هـ/908م)، وبـذلك أسـدل الستار عن حقبة حكم الأغالبة لبلاد افريقية وحلت محلها سلطة الفاطميين [1].

بعد الانتصارات الكبيرة التي حققها أبو عبدالله الشيعي في افريقية أرسل وفد من كتامة إلى الإمام الفاطمي عبدالله المهدي الذي كان متخفياً في ذلك الوقت في بلدة سـلمية من أعمال حمص [2] يدعوه إلى القدوم من الشـام في الحال ولم يتأخر عبدالله المهدي بتلبية دعوة الشـيعي، وغادر أرض الشـام في الحال ليتوجه إلى مصـر ومن ثم إلى المغرب، وبعد رحلة طويلة وصـل عبدالله المهدي إلى أرض المغرب، وكان أبو عبدالله الشـيعي في هذه الأثناء لم يكمل سـيطرته على افريقية لذلك غير عبدالله المهدي وجهته من المغرب باتجاه الصـحراء، لاسـيما بعد أن وصـلت الأخبار بمحاولة الخليفة العباسـي المعتضد (279-289هـ/892-901م) إلقاء القبض عليه، وواصل عبدالله مسيره غرباً حتى وصل مدينة سجلماسة عاصمة الخوارج الصفرية من بني مدرار، إذ أكرمه أميرها اليسـع بن مدرار وأحسـن ضـيافته [3] إلا أن الحال تغير بعد ذلك عندما وصل كتاب الخليفة العباسـي إلى اليسـع بن مدرار يخبره بحقيقة عبدالله المهدي ودوافع هروبه إلى المغرب، لذلك لم يتأخر الأمير المذكور من إلقاء القبض عليه وإيداعه السجن[4].

---

[1] الداعي إدريس، عيون الأخبار، ص120-137 ؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص42 وما بعدها؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص63 وما بعدها.

[2] المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص60 ؛ العبادي، أحمد مختار، في التاريخ العباسـي والفاطمي، دار النهضة العربية، (بيروت- د.ت)، ص230.

[3] الداعي إدريس ، عيون الأخبار، ص152 ؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص37.

[4] مؤلف مجهول ، الاستبصار ، ص203؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص62.

وصــلت أخبار ســجن عبد الله المهدي من قبل اليســع بن مدرار إلى أبي عبدالله الشيعي الذي أحكم قبضته في هذه الأثناء على مدينة القيروان ، لذلك استخلف أخاه أبو العباس على هذه المدينة وأسرع بالتوجه إلى مدينة سجلماسة، وفي طريقه إلى هناك كان لابد له أن يخترق أراضـــي الدولة الرســـتمية وبالتحديد مدينة تاهرت عاصـــمة الدولة المذكورة، وبالفعل وصــــل المدينة المذكورة، فلم يجد حاكمها اليقظان بن أبي اليقظان الرستمي من بد سوى الاستسلام وطلب الأمان من القائد الفاطمي أبو عبدالله الشيعي الذي دخل المدينة وقام بقتل اليقظان وبعث برأسه إلى القيروان [1].

واصـــل بعد ذلك أبو عبدالله ســيره نحو مدينة ســجلماســة عاصــمة المدراريين وحاصـرها من كل الجهات وحاول أميرها اليسـع بن مدرار مقاومة الجيوش الفاطمية، إلا أنه لم يفلح بذلك إذ انتهى الأمر بقتله ودخول الشـيعي إلى مدينة سـجلماسـة، أخرج بعد ذلك أبو عبدالله الشـيعي الإمام عبدالله المهدي من السـجن وقال للناس وهو يبكي متأثراً هذا هو مولاكم [2] انتقم بعد ذلك عبدالله المهدي من يهود سـجلماسـة لوشـايتهم [3] عليه، ثم غادر المدينة متوجهاً إلى مدينة رقادة في افريقية ليعلن قيام الدولة الفاطمية وليتخذ من المدينة المذكورة عاصمة له، بعد ان فرق دورها على رجال كتامة جند الدولة الجديدة كما أرسله عماله إلى أنحاء البلاد التي كان يسيطر عليها الأغالبة بما فيها صقلية [4].

---

(1) ابن عذاري ، البيان، ج1، ص153؛ ابن أبي دينار، محمد بن القاســـم القيرواني، المؤنس في أخبار افريقية وتونس، ط3، دار المسيرة، (بيروت-1993)، ص70 ؛ الحريري، محمد عيسى، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، ط3، دار القلم للنشر والتوزيع ،(الكويت-1987)، ص184.

(2) الداعي إدريس، عيون الأخبار، ص160؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا،ج1، ص65.

(3) مؤلف مجهول ، الاستبصار، ص204 ؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص44.

(4) الداعي إدريس، عيون الأخبار، ص170؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص158 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا ، ج1، ص66.

ثـانيـاً- الصـــراع الزنـاتي الفـاطمي في المغرب الأوســـط (298-313هـ/932/925م)

بعد هذا العرض الموجز لقيام الدولة الفاطمية في المغرب الإســـلامي لابد لنا أن نتعرف على موقف قبيلة زناتة من القوة الجديدة الناشـئة في بلاد افريقية والتي أصـبحت على تماس مباشر مع ممتلكات زناتة في المغرب الأوسط، ومن الجدير بالذكر أن قبيلة زناتة كان لها موقف إيجابي من قيام دولة إسلامية في بلاد المغرب الإسلامي، إذ أسلم زعيمها صـــولات بن وزمار واتصـــل بالخليفة عثمان بن عفان فأقره على حكم المناطق التي كان يســـيطر عليها [1] وبذلك كانت زناتة ســـباقة في هذا المجال، كما ان للقبيلة المذكورة موقف مشـرف من الصـراع بين الكاهنة ملكة جبال الأوراس والقائد حسـان بن النعمان الغساني، إذ التحقت أعداد كبيرة من الزناتيين بالقائد المذكور بعد أن استنجد بهم وذكرهم بصلة النسب التي تجمعه معهم [2] كما تفاعلت زناتة بشكل إيجابي مع الخوارج وانضـمت أعداد كبيرة منهم للخوارج سـواء كانوا صـفرية أم اباضـية واتضـح ذلك بشـكل جلي بحركتي أبي قرة اليفرني ومخلد بن كيداد [3] أما بالنسـبة لدولة الأدارسـة التي قامت في مدينة فاس سنة (172هـــ/788م)، فلم يكن موقف زناتة منها مختلفاً عن موقفها من الخوارج، إذ ســـارع أميرها محمد بن خزر إلى مبايعة زعيم دولة الأدارســـة إدريس الأول واعترف له بحكم مدينة تلســـمان، وهذا ما أكده ابن خلدون[4]، حينما قال : " **نـهض- يقصد إدريس- إلى المغرب الأوسط سنة أربع وسبعين فتلقاه محمد بن خزر هذا وألقى**

---

[1] ابن خلدون، العبر، ج7، ص29- 30 .

[2] ابن أبي زرع، الذخيرة السنية، ص17.

[3] ابن خلدون، العبر، ج7، ص14، ص16.

[4] العبر، ج7، ص30.

إليه المقادة، وبايع له عن قومه وأمكنه من تلمسان بعد أن غلب عليها بني يفرن أهلها، وانتظم لإدريس بن إدريس الأمر، وغلب على جميع أعمال أبيه وملك تلمسان وقام بنو خزر هؤلاء بدعوته كما كانوا لأبيه" .

وبعد قيام الدولة الفاطمية لم يكن باستطاعة حكامها إقامة علاقات ودية مع قبيلة زناتة التي اتخذت موقفاً عدائياً من الدولة المذكورة منذ قيامها لاسيما إذا ما علمنا أن قبيلة زناتة كانت على إطلاع واسع بأهداف الفاطميين التوسعية على حساب ممتلكاتهم في المغربين الأوسط والأقصى ومما زاد الطين بله هو اعتماد الفاطميين على قبيلتي كتامة وصنهاجة، في حكمها للمغرب العربي مما آثار حفيظة زناتة بسبب العداء التقليدي بينهما[1].

أصبحت مدينة تاهرت عاصمة الدولة الرستمية سابقاً مركز الصراع بين الدولة الفاطمية وقبيلة زناتة، ومن الجدير بالذكر ان المدينة المذكورة خضعت للسيادة الفاطمية منذ خروج أبي عبدالله الشيعي إلى سجلماسة لإنقاذ عبدالله المهدي من سطوة اليسع بن مدرار كما مر آنفاً، وبعد مغادرة أبو عبدالله المدينة عين عليها والياً من قبله هو أبو حميد دواس اللهيعي وأصبحت المدينة تابعة للفاطميين[2].

حدثت سنة (299هـ/912م) ثورة بالمدينة ضد الوالي المذكور وبتحريض من الوالي محمد بن خزر زعيم زناتة وبالفعل تمكن أهل المدينة من التخلص من الوالي أبو حميد وتعيين محمد بن خزر الزناتي بدل منه، الأمر الذي آثار حفيظة الزعيم الفاطمي

[1] مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص94.

[2] ابن عذاري ، البيان ، ج1، ص197.

عبدالله المهدي فقاد حملة كبيرة في السنة نفسها استطاع من خلالها استعادة المدينة[1] بعد أن كبد أهلها خسائر كبيرة بالمعدات والأرواح، وهذا ما أكده أبن عذاري[2] حينما قال : " ... **وفي سنة 299هـ أخرج أبو عبدالله إلى المغرب جماعة من قواده لمحاربة زناتة في عساكر عظيمة فكانت بينهم وبين زناتة وقعة عظيمة بموضع يعرف بفلك مديك، قتل فيها من زناتة عدد لا يحصى، وفيها فتحت مدينة تيهرت وكان أهلها قد ثاروا على دواس عاملها وأرادوا قتله فهرب منها إلى تيهرت القديمة وقتل فيها أكثر أصحابه وكانوا في نحو ألف فارس، واستدعوا محمد بن خزر فقدم عليهم** ".

ويبدو أن عبدالله المهدي لم يكن مقتنعاً بما يسيطر عليه من مناطق في المغرب الإسلامي والتي اقتصرت على الحدود الإدارية لدولة الأغالبة المنحلة وبعض المناطق في المغرب الأوسط والأقصى كتاهرت وسجلماسة، وإنما كان يتطلع للسيطرة على كامل المغرب ليكون قريباً من أعدائه التقليديين أموي الأندلس ولتحقيق طموحات كان عليه أن يصطدم بدولة الأدارسة وحلفائها من زناتة، لذلك أعد عبدالله المهدي حملة عسكرية كبيرة أسند قيادتها إلى عامله على تاهرت مصالة بن حبوس وكان ذلك في سنة(305هـ/917م)[3] اتجهت هذه الحملة باتجاه مضارب زناتة في المغرب الأوسط وبعد أن أخضعت هذه الحملة الزناتيين المتواجدين في المغرب الأوسط اتجهت الحملة نحو مدينة مكناسة الزيتون [4] الخاضعة لسيطرة الأدارسة فحاول أمير الأدارسة يحيى

---

[1] ابن عذارى، البيان المغرب، ج1، ص165.

[2] ابن عذارى، البيان المغرب، ج1، ص165.

[3] ابن عذاري، البيان، ج1، ص175 ؛ ابن خلدون، العبر، ج7، ص31.

[4] تقع إلى الغرب من مدينة فاس وهي عبارة عن أربع مدن متصلة مع بعضها سميت مكناسة الزيتون لكثرة أشجار الزيتون فيها . ينظر: مؤلف مجهول، الاستبصار، ص187.

بن إدريس(292-305هـــ/904-917م) التصـدي لهذه الحملة، إلا أن محاولته باءت بالفشـل بسـبب بسـالة جيش مصـاله بن حبوس لذلك انسـحب يحيى من مدينة مكناسـة واتجه نحو فاس، أما بالنسـبة لمصـالة فقد دخل مدينة مكناس وواصـل زحفه نحو مدينة فاس عاصمة الأدارسة التي تحصن بها يحيى بن إدريس وبعد معارك كبيرة مع الأدارسة وحلفائهم الزناتيين[1] اضـــطر أمير الأدارســـة يحيى الاعتراف بالســـيادة الفاطمية على المناطق التي يسـيطر عليها الأدارسـة مقابل بقائه حاكماً على فاس وأعمالها كذلك تعهد بدفع مبلغ من المال كجزء من الاعتراف بالسيادة الفاطمية وبذلك أحكم مصـاله سيطرته على بلاد المغرب وأخضـــع قبائل زناتة القاطنة بتلك المنطقة، ونتيجة للخدمات التي قدمها القائد المكناسي موسى بن أبي العافية(ت341هـ/951م) في هذه الحملة فقد منحه القائد مصالة حكم الكثير من المناطق التي كانت تحت سيطرة زناتة [2] .

ومن الجـدير بـالـذكر أن حملـة مصـــالـة على فـاس قـد ســـبقتهـا حمـلـة أخـرى عـلـى مـديـنـة نـكـور[3] عـاصـــمـة دولـة بـنـي صـــالـح الحميري [4] وكانت هذه الحملة هي ردة فعل من قبل عبدالله المهدي على رفض حاكم هذه المدينة سعيد بن صالح دعوة المهدي للدخول في طاعته لذلك اصدر المهدي أوامره

---

[1] البكري، المسالك والممالك، ج2، ص309-310.

[2] مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص140 ؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص80.

[3] مدينة كبيرة تقع في شمال شرق المغرب، في منطقة الريف المغربي تقع بين نهرين أحدهما يعرف بـــ (نكور) وبه سميت والثاني نهر (ورغة) وهي محصـنة بسـور من اللبن، ولها مرسـى ترسـي فيه المراكب يعرف المزهة وتميزت بكثرة عماراتها وقراها. ينظر: البكري، المســـالك والممالك،ج2، ص273.

[4] أسس هذه الدولة صالح بن منصور الحميري المعروف بالعبد الصالح وهو من أهل اليمن شارك في عملية فتح المغرب وقد فتح مدينة نكور وقام بعمارتها وأسس إمارة وراثية بها. ابن خلدون، العبر، ج4، ص98-100؛ أحمد، نهلة شــهاب، دراســات في تاريخ المغرب والأندلس، دار الكتب العلمية، (بيروت- 2009)، ص92.

إلى مصـاله بن حبوس بمهاجمة المدينة، لم يتأخر مصـاله بتلبية نداء المهدي وحاصـر المدينة من كل الاتجاهات حتى تمكن من دخولها سنة(305هـ/917م) [1] ليتوجه بعدها إلى مدينـة فاس وهذا ما أكده البكري [2] حينما قال : " **فكتب عبيدالله الشـيعي إلى مصـاله بن حبوس عامله على تيهرت يأمره بالمسير إلى بلد نكور ومحاربة سعيد بن صـالح، فخرج مصـالة لذلك من تيهرت غرة ذي الحجة سـنة أربع وثلاثمائة فنزل من مدينة نكور على مسيرة يوم بموضع يسمى نسافت فخرج إليه سعيد بن صالح فحاربه ثلاث أيام مكافيا له** ".

هـدأت الأوضـاع بعـد ذلـك فـي المغـرب الإسـلامي وتفـرغ عبـدالله المهـدي لترتيـب أوضـاع دولتـه الداخليـة وأول عمـل قـام بـه فـي هـذا المجـال هـو إنشـاء عاصـمة جديـدة لدولتـه لتحـل محـل رقـادة التـي تفتقد إلـى الحصـانة الدفاعيـة بسـبب وقوعهـا وسـط سـهل فسـيح لـذلك وقـع اختيـاره علـى مدينـة المهديـة علـى شـاطئ البحـر مباشـرة بـالقرب مـن تـونس وذلـك لأنــه رأى أن نفـوذ الفـاطميين فـي داخـل الـبلاد لا يـزال ضـعيفاً وأنـه لابـد أن يعتمـد علـى أسـطول قـوي لحمايـة العاصـمة وتموينهـا مـن جهـة البحـر وقـت الأزمـات وذكـر المقريـزي[3] ان المهديـة كانـت عبـارة عـن شبه جزيـرة محاطـة بـالبحر مـن كـل جهاتهـا، أمـا ابـن الأثيـر[4] فقد ذكـر أن عبـدالله المهـدي لمـا فـرغ مـن بنـاء المهديـة وحصـنها بالأسـوار الضـخمة قـال : " **أمنت اليوم على الفاطميات** ".

---

[1] ابن عذاري، البيان النغرب، ج1، ص179-180.

[2] المسالك والممالك، ج2، ص278-27

[3] اتعاظ الحنفا، ج1، ص70.

[4] الكامل في التاريخ، ج6، ص489.

إن الهدوء النسبي الذي كان يخيم على العلاقات بين الفاطميين وقبيلة زناتة وحلفائها الأدارسة سرعان ما أخذ بالانهيار نتيجة للتنافس بين الأدارسة وموسى بن أبي العافية المكناسي على أرض العدوة المغربية فلم يكتف الأخير بالمناطق الكبيرة التي أقطعها له مصاله بن حبوس على حساب ممتلكات زناتة وأخذ يفكر بالسيطرة على مدينة فاس عاصمة دولة الأدارسة للتخلص من نفوذ الدولة المذكورة في المنطقة نتيجة التأييد الواسع الذي كان يتلقاه الأدارسة من قبيلة زناتة ذات الانتشار الواسع في منطقة المغرب الإسلامي، لذلك اندلع صراع كبير بين الطرفين لم ينته إلا سنة (309هـ/921م) عندما قام مصاله بن حبوس بحملته الثانية على بلاد المغرب وبتحريض من موسى بن أبي العافية حليف الفاطميين، إذ وضع مصالة هذه المرة حد للوجود الإدريسي في مدينة فاس [1] وقد علق ابن أبي زرع [2] على دور موسى بن أبي العافية في هذه الحملة، حينما قال :" **وكان موسى بن أبي العافية صاحب تسول وبلاد تازه قد خدم القائد مصاله وهاداه وتقرب إليه بالإحسان وقاتل معه في جميع حروبه بالمغرب، فلما انصرف مصاله إلى القيروان قدمه على المغرب واختصه من بين سائر أمرائه، فكان موسى بن أبي العافية كلما أراد الظهور بالمغرب والاستبداد فيه غمره يحيى بن إدريس الحسني بشرفه وكرمه ودينه وعدله، وقطع عليه كل ما يريده، فكان على قلبه منه حمل ثقيل، فلما قدم مصاله المغرب في كرته الثانية، وذلك في سنة تسع وثلاثمائة سعى موسى بن أبي العافية بيحيى بن إدريس عنده حتى أوغر صدره عليه".**

[1] البكري، المسالك والممالك، ج2، ص310 ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص185.

[2] الأنيس المطرب، ص81.

أسفرت الحملة الثانية لمصاله بن حبوس على المغرب زوال الحكم الإدريسي عن مدينة فاس، إذ قام مصـــاله بالقبض على يحيى بن إدريس ونفيه إلى مدينة أصـــيلا [1] وأصبحت فاس بعد ذلك تحت إدارة قوات مصاله إذ عين ريحان المكناسي والياً عليها[2] أما عن دور قبيلة زناتة في هذه الأحداث فذكر ابن خلدون [3] ان القائد مصـــــاله بن حبوس قد لقي مصـــــرعه في هذه الحملة على يد القائد الزناتي محمد بن خزر فقال: **"وسرح عبدالله المهدي مصاله قائد المغرب في عساكر كتامة سنة تسع ، ولقيه محمد بن خزر في جموع مغراوة وسائر زناتة ففل عساكر مصاله وخلص إليه فقتله"** ، وجعل ابن خلدون [4] مقتل مصـــــاله في حوادث ســـنة (309هـــــــ/921م)، أما ابن عذارى المراكشـي[5] فقد ذكر مقتله في حوادث سنة (313هـــ/925م) من خلال القول الآتي: **وفي سنة 313هـــ خرج مصاله بن حبوس من تيهرت إلى زناتة، فأداخ بلدهم وقتل وسـبى، وأخرج خيلاً إلى بعض نواحي ابن خزر، وكان فيها أكثر حماته ووجوه رجاله، وبقي مصاله في نفر من أصحابه ، فبلغ ذلك ابن خزر، فقصد نحو مصاله ودارت بين الفريقين حرب عظيمة قتل فيها مصاله وانهزم أصحابه"** .

مهما يكن من أمر فقد فقدت الدولة الفاطمية قائداً شجاعاً أخذ على عاتقه ضـبط الأمور في بلاد المغرب الإسـلامي لذلك تعرضـت البلاد المذكورة بعد اغتياله إلى موجة من الاضـطرابات الداخلية والانتفاضـات التي قام بها أعقاب الأدارسـة لاسيما الحسن بن

---

[1] مدينة بالمغرب تقع إلى الغرب من مدينة فاس، قريبة إلى البحر كثيرة الخصـــب والخير. مؤلف مجهول، الاستبصار، ص139.
[2] ابن الخطيب، لسـان الدين بن محمد بن عبدالله التلمسـاني، تاريخ المغرب في العصـر الوسـيط، تحقيق: الدكتور أحمد المختار العبادي،، والاســـتاذ إبراهيم الكناني، (الدار البيضــــاء-1964م)، ص211.
[3] العبر، ج7، ص31.
[4] العبر ، ج7، ص31.
[5] البيان، ج1، ص189.

محمد الحجام سنة (310هـ/922م)، ولكن هذه الانتفاضات باءت بالفشل واستطاع موسى بن أبي العافية أن يسيطر على فاس وينفي الأدارسة إلى بلاد الريف إذ أودعهم في حصن عظيم البناء يدعى حجر النسر [1] أما بخصوص ردة فعل عبدالله المهدي على مقتل قائده مصاله بن حبوس فقد ذكر ابن خلدون [2] ان المهدي أرسل حملة كبيرة إلى بلاد المغرب جعل على رأسها ابنه أبا القاسم وكان هدف هذه الحملة معاقبة زناتة وقائدها محمد بن خزر، إذ دارت معارك طاحنة بين الطرفين انتهت بهزيمة زناتة باتجاه الصحراء وتتبعهم أبا القاسم حتى وصل بهم إلى سجلماسة ثم عاد إلى المغرب وأقر موسى بن العافية على المناطق التي يسيطر عليها.

ثالثاً- موقف الدولة الأموية في الأندلس من التوسع الفاطمي في المغرب

شكل قيام الدولة الفاطمية في المغرب الإسلامي سنة(298هـ/910م) خطراً كبيراً على الدولة الأموية في الأندلس وأقلق حكومة قرطبة بسبب العداء التقليدي بين الطرفين والذي تعود أصوله إلى عصر معاوية بن أبي سفيان [3] فضلاً عن ذلك فان العدوة المغربية كانت تشكل قاعدة الأندلس وخط دفاعها الأول بوجه أي عدوان محتمل من قبل الفاطميين الذين لم يخفوا نواياهم العدوانية تجاه الأندلس واتضح ذلك بشكل جلي من خلال دعمهم لحركة عمر بن حفصون (ت306هـ/918م) الثائر في جنوب الأندلس

---

[1] ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص83-84.

[2] العبر، ج7، ص31.

[3] القاضي النعمان، محمد المغربي، المجالس والمسايرات، تحقيق الحبيب الفقي، إبراهيم شبوح، محمد اليعلاوي، دار المنتظر، (بيروت-1996)، ص168؛ النقيب ، أحلام حسن، تاريخ الأندلس عصر الخلافة الأموية، (الموصل- 2006)، ص183.

والتي استمرت أكثر من خمسين عاماً[1] فضلاً عن النجاح الكبير الذي حققه الفاطميون في المغرب الإسلامي لاسيما بعد حملة مصالة بن حبوس سنة (309هـ/921م) الذي استطاع خلالها أن ينتزع حكم العدوة المغربية من الأدارسة وبذلك أصبحت الأندلس تحت التهديد المباشر للفاطميين [2] لذلك بادر عبد الرحمن الناصر الأموي (300-305/912-917م) بأخذ الاحتياطات كافة للحيلولة دون حدوث أي مفاجئة من قبل الفاطميين، فأصدر أوامره للأسطول الأندلسي المرابط في مضيق جبل طارق بتشديد الحراسة على الحدود مع العدوة المغربية والحيلولة دون وصول الإمدادات من قبل الفاطميين لحركة عمر بن حفصون[3] السالفة الذكر وهذا ما أكده ابن عذاري [4] حينما قال : " **وفي سنة 301هـ ألفيت للمشرك عمر بن حفصون مراكب في البحر كان تميره من العدوة المغربية فأحرق جميعها**" ولم يكتف عبد الرحمن الناصر بتشديد الحراسة على الحدود فحسب بل سعى جاهداً إلى تطوير أسطوله الحربي لأنه كان يدرك أن المعركة مع الفاطميين ستكون في غالبها معركة بحرية وذلك لامتلاك الفاطميين

---

[1] ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص165.

[2] ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ص211.

[3] هو جعفر بن حفص بن جعفر الإسلامي، أعلن الثورة ضد الدولة الأموية في الأندلس واستولى على أراضي واسعة من البلاد المذكورة، واستمرت ثورته لأكثر من خمسين عام إلى أن أضرمت في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر، وقد لقيت هذه الثورة دعماً من الدولة الفاطمية في المغرب كما ان الثائر ابن حفصون قد اعترف بتبعيته للخليفة الفاطمي عبدالله المهدي ودعا له على منابر الأندلس. ينظر: ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبدالله السلماني، تاريخ إسبانيا الإسلامية المسمى بكتاب الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق: ليفي بروفنسال، مكتبة الثقافة الدينية، (القاهرة- 2004)، ص34.

[4] البيان المغرب ، ج2، ص165.

لأسطول بحري قوي أخذ يهدد السواحل الأندلسية بين الحين والآخر[1] لذلك خرج عبد الرحمن الناصر بنفسه سنة (302هـ/914م) للوقوف على الاستعدادات اللازمة التي يجب القيام بها تحسباً لأي غزو مفاجئ من قبل الفاطميين، إذ اشرف على التحصينات الدفاعية في الجزيرة الخضراء وجزيرة طريف جنوب الأندلس[2] وذهب عبد الرحمن الناصر ذهب إلى الجزيرة الخضراء وانشأ بها دار لصناعة الأساطيل، أتقن بناءها وعلا أسوارها لأن مرساها هو أقرب المراسي للعدوة المغربية ويقع قبالة مدينة سبته الحدودية استولى الناصر بعد ذلك على بعض ثغور الساحل المغربي المواجهة لساحل بلاده ومنها مدينة مليلة، فقد ذكر البكري[3] ان عبد الرحمن الناصر افتتحها سنة (314هـ/927م)، وكانت مدينة مليلة أول مدينة على الساحل المغربي قد خضعت لسيطرة الدولة الأموية في الأندلس، وقد شجعت هذه العملية العسكرية التي قام بها الناصر في العدوة المغربية فضلاً عن قمعه لحركة عمر بن حفصون[4] على اتخاذه خطوة جريئة في الجانب السياسي وهي إعلانه لنفسه خليفة للمسلمين في الأندلس بعد أن كان أميراً وكان ذلك في سنة (316هـ/928م) [5] وكان الدافع الأساس وراء هذا الإعلان هو مقاومة الخلافة الفاطمية في المغرب، وقد أثار هذا الأمر حفيظة الفاطميين، وعدوا ذلك اعتداء على حقوقهم ويتضح ذلك جلياً من خلال المراسلات التي تمت بين عبد الرحمن الناصر والخليفة الفاطمي المعز في مرحلة لاحقة، والتي نقلها لنا القاضي النعمان [6] وهي

---

[1] العبادي، في التاريخ العباسي والفاطمي، ص240.

[2] الحميري، الروض المعطار ، ص223.

[3] المسالك والممالك، ج2، ص265.

[4] ابن عذاري، البيان، ج2، ص 174.

[5] ابن عذاري، البيان،ج2، ص198.

[6] المجالس والمسايرات، ص168.

أجوبة طويلة من قبل المعز الفاطمي لرسائل كان يبعث بها الناصر إلى الخليفة المذكور لا يسع المجال لذكرها في هذا المحل، وقد أكدت هذه الأجوبة أحقية أهل البيت بالخلافة دون غيرهم، وبذلك ذكر المعز في خطاب موجه إلى الناصر بخصوص إعلانه للخلافة، فقال: " وهو يزعم أنه أمير المؤمنين، كما تسمى دون من سلف من آبائه، وإمام الأمة بدعواهم وانتحاله، ونحن نقول : " **إننا أهل ذلك دونه ودون سواه، ونرى أن فرض الله علينا محاربة من انتحل ذلك دوننا وادعاه، مع ما بين أسلافنا وأسلافه ومن مضى من القديم والحديث من آبائنا وآبائه من العداوة القديمة والبغض في الإسلام والجاهلية".**

وبذلك استطاع عبد الرحمن الناصر من خلال إعلانه للخلافة كسب تأييد العناصر الموالية له من المالكية في بلاد المغرب الإسلامي والتي رفضت الانصياع للدولة الفاطمية الشيعية كزناتة وغيرها، فعمل جاهداً على كسب ود إمارة بني صالح في نكور وكذلك الأدارسة الذين تقلص نفوذهم بسبب الغزو الفاطمي لمناطقهم وتركزوا في المناطق الجبلية الشمالية بنواحي البصرة وأصيلا وحجر النسر كما ذكرنا سابقاً عند حديثنا عن حملة مصالة بن حبوس على المغرب [(1)] لذلك أخذ الناصر يفكر بشكل جدي بإيجاد موطئ قدم له في المغرب الإسلامي ليكون قريباً من حلفائه الجدد الذي أعلنوا تأييدهم المطلق له فضلاً عن استقطابه للعناصر الناقمة على الفاطميين فكان لابد من احتلال مدينة سبتة لموقعها الاستراتيجي بالنسبة إلى الأندلس وقد تحقق له ذلك سنة (319هـ/931م)، عندما تمكن القائد الأندلسي فرج بن عفير من دخولها وبذلك

[(1)] البكري، المسالك والممالك، ج2، ص310؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص185؛ ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب، ص81.

قال ابن عذاري[1] : " **وشكها بالرجال، وأتقنها بالبنيان، وبنى سورها بالكذّان، وألزم فيها من رضيه من قواده وأجناده، و صارت مفتاحاً للغرب والعدوة من الأندلس، وباباً إليها، كما هي في الجزيرة وطريف مفتاح الأندلس من العدوة المغربية وقامت الخطب فيها باسم أمير المؤمنين لثلاث خلون من ربيع الأول من العام المؤرخ**" وأشار ابن حيان[2] ان فتح مدينة سبتة كان بطريقة سلمية دون الدخول في قتال فقال: " **في سنة تسع عشر وثلاثمائة مائة جرى فتح مدينة سبتة من أرض العدوة، فرضة المجاز من ارض المغرب إلى جزيرة الأندلس، ولم يكن لأحد ممن ملك الأندلس في الإسلام سلطان بأرض العدوة قبله، فكان ملكه له سلماً، رغبة من أهلها في طاعته لما اعتلى من ذكره واستفاض من عدله، وشهر من حسن سيرته واستدعوه إلى بلدهم، وسألوه عامل من قبله إليهم يسلمون بلدهم، فجرد جيشه في الأسطول إليها مع العاملالذي استعمله عليهم فدخلها عفواً يوم الجمعة صدر ربيع الأول من هذه السنة** " .

وكان الناصر يولي مدينة سبته اهتمام خاص دون غيرها لأنه يعدها أهم قاعدة يمكنه من خلالها التحكم في ممر مضيق جبل طارق وهي الجديرة بأن تحافظ على استمرار نفوذه واستقراره في المغرب [3].

---

[1] البيان المغرب، ج1، ص201.

[2] أبو مروان حيان بن خلف، المقتبس، اعتنى بنشر شالميتا، المعهد الاسباني العربي للثقافة، (مدريد، 1979)، ص298-299.

[3] الفيلالي، العلاقات السياسية ، ص161.

وقد أشار البكري [1] إلى أن مدينة سبته قبل فتحها كانت تضم جالية أندلسية كبيرة من أهل مدينة قلسانه[2] في الأندلس هاجروا إليها واستوطنوها بسبب الأزمة الاقتصادية التي حلت بالأندلس سنة (131-136هـ/748-753م) وكان أهل سبته يدينون بالطاعة للأدارسة حتى فتح هذه المدينة، وذكر ابن أبي زرع [3] ان الناصر وبعد فتحه مدينة سبته عزم على احتلال طنجة من اجل استكمال سيطرته على الساحل المغربي للمضيق، فعندما بايع الأمير أبو العيش أحمد بن قاسم بن كنون الإدريسي(ت384هـ/954م) عبد الرحمن الناصر وقطع دعوة الفاطميين أقترح عليه الناصر التنازل عن طنجة فرفض ابن كنون ذلك، فأرسل إليه الناصر أسطوله فحاصره وضيق عليه ولما رأى ابن كنون أنه لا طاقة له لمواجهة الناصر تنازل عن المدينة، وبذلك أصبح مضيق جبل طارق بكامله تحت سيطرة الناصر.

رابعاً- تحالف زناتة مع الدولة الأموية في الأندلس للوقوف بوجه الخطر الفاطمي

ذكرنا فيما مر آنفاً أن الخليفة عبد الرحمن الناصر أخذ يعد العدة من أجل التدخل في شؤون العدوة المغربية كرد فعل على تدخل الخليفة الفاطمي عبدالله المهدي بشؤون الأندلس، وقد مهد لذلك كما أشرنا سابقاً باحتلال الثغور البحرية المحاذية للسواحل الأندلسية من جهة المغرب كسبته وطنجة ومليله وبذلك أصبح الاتصال

---

[1] المسالك والممالك، ج2، ص286.

[2] مدينة اسبانية تقع في منطقة الاندلس جنوب اسبانيا قرب مدينة شذونة. ينظر: الحموي، معجم البلدان ، ص387.

[3] الانيس المطرب، ص88؛ الراشد، عبد الجليل، المغرب في ظل الصراع الأموي الفاطمي، مجلة آفاق عربية، العدد(3)، (بغداد-1978م)، ص122.

بالأمراء المغاربة من الأدارسة وغيرهم أمر سهلاً، وأخذت رسل أمراء البربر تتوافد على قرطبة من أجل إعلان الولاء للخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر وقد أثمرت جهود الناصر باحتلال سبته عقب إعلان الأدارسة الموجودين في منطقة الريف المغربي ولائهم للخليفة عبد الرحمن الناصر [1]، كما حاول الأدارسة الاستيلاء على مدينة سبته من يد الناصر إلا أن محاولتهم باءت بالفشل بسبب صمود أهل المدينة، وقد خشي الأدارسة من ردة فعل الناصر لذلك سارعوا بالاعتذار عما بدر منهم، وأوضحوا للخليفة المذكور ان مهاجمتهم لمدينة سبته كان بسبب عدم معرفتهم بوجود جند للناصر في تلك المدينة وبعد أن تم استيضاح الأمر انسحبوا عن المدينة، فقبل الناصر اعتذارهم وأرسل سفارة لهم جعل على رأسها محمد بن عبدالله بن عيسى وكان هدف هذه السفارة هو أخذ البيعة من الأمراء الأدارسة في العدوة المغربية، وقد نجح القاضي بمهمته وكتب الأدارسة بيعتهم إلى الناصر وكان ذلك في سنة (319هـ/931م) ومما جاء في هذه البيعة : "**وبعد، فأنه قدم إلينا، يا أمير المؤمنين، رسولنا مع أمينك محمد بن أبي عبدالله، مؤدي كتابك الكريم، فقرأناه وفهمنا ما ذكرته فيه ونحن أعز الله سيدنا أمير المؤمنين على محض المحبة وخالص المودة وغاية المسرة باتصالنا بك ودخولنا في كنفك، وقد سارعنا إلى كل ما رآه أمينك من عقد الإيمان المؤكدة، وإعطاء العهود المغلظة التي حملنا على ان نوالي من والاك ونعادي من عاداك، ونكون يد واحدة وكلمة متفقة على من حادك وناؤك**"[2].

ومن الجدير بالذكر أن الخليفة عبد الرحمن الناصر لم يقتصر على محالفة الدويلات القائمة في العدوة المغربية بل كان يتطلع إلى ابعد منذ لك وهو التحالف مع

---

[1] ابن حيان، المقتبس، تحقيق شالمينا، ص291.

[2] ابن حيان، المقتبس، ص297.

قبيلة زناتة لما لهذه القبيلة من انتشار واسع في المغرب الأوسط، ولعلم الناصر بالجهود الكبيرة التي بذلها زعماء زناتة من أجل إيقاف المد الفاطمي باتجاه المغرب الأقصى، وما قدموه من تضحيات في سبيل ذلك وهم يواجهون الدولة الفاطمية وحلفاءها من صنهاجة، وقد أكد هذه الحقيقة صاحب كتاب مفاخر البربر [1] حينما قال : " **وجر إليهم- يقصد الأدارسة- فأرجو له عن مدينة سبته وما والاها وانقبضوا إلى ما وراء ذلك من أعمالهم بأصيلا والبصرة، وجاورا عبد الرحمن على الاعتصام بدعوتهم وتخطاهم عبد الرحمن إلى من خلفهم من زعماء البربر يستألفهم ويحمل أهل الطاعة على أهل المعصية منهم، مسدا لمن عجز برجاله، مقوياً لمن ضعف بماله، متفقد لهم في سائر الحالات بألطافه متعهداً بوجوه رسله وخواصه إلى أن تميز أكثر بوادي زناتة في حزبه وارتسموا بطاعته ولاسيما عند امتياز أضدادهم صنهاجة في حزب أعدائه بني عبيدالله**" وبالفعل تحقق ما يصبو إليه الناصر إذ أعلن زعيم زناتة محمد بن خزر مبايعته للناصر الأموي ونقل إليه أخبار فتوحاته في المغرب، إذ طرد أولياء الشيعة من شلب وتونس وملك تاهرت وعين عليها ابنه الخير، وهذا ما أكده ابن خلدون [2] حينما قال: " **ثم أن الناصر صاحب قرطبة سما له أمل في ملك العدوة فخاطب ملوك الأدارسة وزناتة، وبعث إليهم خالصته محمد بن عبيدالله بن أبي عيسى سنة ستة عشر، فبادر محمد بن خزر إلى إجابته وطرد أولياء الشيعة من الزاب وملك شلب وتنس من أيديهم وملك وهران وولي عليها ابن الخير، وبث دعوة الأموية في أعمال المغرب الأوسط ما عدا تاهرت** "، ويبدو أن ابن خلدون قد أخطأ في تحديد تاريخ السنة التي وفد بها رسول عبد

---

[1] مؤلف مجهول، ص94.

[2] العبر، ج7، ص31.

الرحمن الناصر على العدوة المغربية فقد أكد ابن حيان[1] ان السفير القاضي محمد بن عبد الله قد وفد على المغرب بعد فتح مدينة سبته وذلك بطلب من الأدارسة أي في سنة (319هـ/931م) حتى ان المكاتبات اللاحقة التي أوردها ابن حيان بين الخليفة الناصر وملوك زناتة كانت بعد العام المذكور.

وقد انفرد ابن حيان [2] في ذكر أخبار هذه السفارة، وأشاد بدور السفير محمد بن عبدالله بن أبي عيسى في كسب ود قبيلة زناتة لصالح الدولة الأموية في الأندلس ضد الدولة الفاطمية " **إذ كان ابن أبي عيسى في ذاته رجل الزمان جزالة ورجله دهاء ومعرفة... انتظمت بها طاعة أهل العدوة، وصاروا من السكون إليه على غاية**"، وقد نجحت سفارة عبد الرحمن الناصر في تحقيق الأهداف المرجوة منها وهذا ما أكده ابن حيان[3] أيضاً حينما قال: " **فلم يلبث أن هويت إليه أفئدة كثير من زعمائهم [يقصد زناتة] بين مصحح في ولايته، مستجيب لدعوته، مغتنم لعطيته، مستعين بقوته على مدافعة من قد هد ركنه من بني عبيد الله**".

وقد ترتب على هذه السفارة ان أعلنت قبيلة زناتة بيعتها للخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر، وأرسل زعيمها محمد بن خزر ببيعته مع السفير محمد بن عبدالله أبي عيسى [4] ومما جاء في هذه البيعة " **والله يا أمير المؤمنين، ما أعلم على وجه الأرض أحداً اعرف بما اوجب الله لك مني، لأني ما قمت بدعوتك إلا تقرباً إلى الله تعالى وتوصلاً إلى قتال الكفار المشارقة بحقها، فقد يعلم الله تعالى إني لم أتعرض للمشارقة،**

---

[1] المقتبس، تحقيق شالميتا، ص291، ص300.

[2] المقتبس، تحقيق شالميتا ، ص258- 259.

[3] المقتبس، تحقيق شالميتا ، ص256.

[4] ابن خلدون، العبر، ج7، ص31.

أهلكهم الله على يدك، ما تعرضوني كما إني كففت زماناً عنهم قبل استحكام البصيرة فيك، فكفوا عني ورضوا بذلك مني، حتى رأيت أمرهم قد عم الناس شره، وقد حاولوا ان يبطلوا نور الإسلام، بما كادوا به أهله، فاستخرت الله في جهادهم، وقمت أدعو ربي في جوف الليل في التوفيق والسداد" [1].

وقد كان أمير زناتة محمد بن خزر على اتصال دائم مع الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر يخبره بفتوحاته في بلاد المغرب الأوسط سنة(317هـ/929م)، إذ وردت على الناصر رسالة من أمير زناتة محمد بن خزر يطلعه فيها على استخلاص مدينة الزاب وطبنة من أيدي الفاطميين [2]، ودخولها على طاعة الأمويين مثنياً في الوقت نفسه على الدور الكبير الذي اضطلع به ولده الخير وأخويه عبدالله ومسعود في إعادة المدن المذكورة من يد الفاطميين وذكر لك بالقول: " **فجرت له معهم حظوب طويلة، وترددت كتبه هذه السنة إلى الناصر لدين الله متاحفاً بضرائب هداياه، مطالعاً بجليات أخباره منهياً لإثارة في حرب عبيد الله وأصحابه، غواة كتامه على طردهم كما امتدوا إليه من بلد الزاب وطبنة، ومقارعته دونه، ينوه في أكثرها باسم ولده الخير بن محمد وإخوته عبدالله ومسعود ابني خزر**"[3].

وبذلك وجدت الدولة الأموية في الأندلس في التحالف مع قبيلة زناتة خير وسيلة للتصدي للنفوذ الفاطمي في المغرب الإسلامي، وأدرك الخليفة عبد الرحمن ان الناصر ان القبيلة المذكورة هي أشد قبائل المغرب الإسلامي ولاءً للدولة الأموية في الأندلس

---

[1] ابن حيان، المقتبس، تحقيق شالميتا ، ص265- 266.

[2] ابن خلدون، العبر، ج7، ص31.

[3] ابن حيان، المقتبس، تحقيق شالميتا ، ص258.

للعلاقة المتينة التي تربط بين الطرفين والتي تعود إلى عهد الخليفة عثمان بن عفان[1] فضـــلاً عن ذلك فأن اغلب أفراد هذه القبيلة كانوا يدينون بالمذهب المالكي مذهب الدولة الأموية في الأندلس وبذلك لم تجد الأفكار الإســـماعيلية ضـــالتها فيما بينهم[2]، لذلك حرص الخليفة عبد الرحمن الناصـر على تكريم ومواصـلة زعماء هذه القبيلة وحثهم على التفاني في قتال الفاطميين[3]، وبالفعل لم يتأخر الزناتيون في تلبية نداء الناصـر إذ أعلن الخير بن محمد بن خزر عن تقدم قواته باتجاه مدينة شـــلب وتـــــــنس في المغرب الأوســـط[4]، وما أن ســـمع أهلها بتقدم قوات محمد بن الخير نحوهم حتى أجهزوا على عامل الفاطميين فيها وبعثوا برأســـه إلى الخير وبذلك قال ابن حيان[5] " **وكان العامل بمدينة شـــلف ولد مصـــاله، لما أحس بدنو الخير بن محمد منه هرب في الليل إلى مدينة تاهرت، كهف الفاسـقين فصـالحه أهل البلد عن أنفسـهم واتقوه بالطاعة، فتقبل ذلك منهم واخذ رهائنهم، فأنفذ إلى حضـــرة والده محمد بن خزر وعدا أهل تنس عند دنوه منهم على عامل الشـــيعي الذي كان ولده عبد الرحمن اســـتخلفه عليهم فقتلوه وأرسلوا برأسه إلى الخير واتقوه بالطاعة، فقبلهم واخذ رهنهم وأمنهم**".

استمرت الحروب بعد ذلك سجالاً ما بين الفاطميين وقبيلة زناتة إذ أرسل عبدالله المهدي ابنه أبي القاســم عبد الرحمن على رأس حملة عســكرية إلى المغرب الأوســـط لتأديب زناتة، إذ اسـتطاع أبي القاسـم الاسـتيلاء على مدينة وهران[6] وأقام فيها حصـناً

---

[1] ابن أبي زرع، الانيس المطرب، ص88.
[2] مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص94.
[3] ابن حيان، المقتبس، تحقيق شالميتا ، ص258.
[4] ابن خلدون، العبر، ج7، ص31.
[5] ابن حيان، المقتبس، تحقيق شالميتا ، ص260- 261.
[6] ابن خلدون، العبر، ج7، ص31.

لمهاجمة قبيلة بنو خزر الزناتية، إلا ان الخير بن محمد لم يقف مكتوف الأيدي أمام هذه الحملة، وتقدم بقواته نحو الحصن الذي بناه أبو القاسم بن عبيد الله وطلب من أهل الحصن الاستسلام وقتل معظم من فيه واحرقه، وبذلك جرد الفاطميين من أهم المواقع الحصينة على الساحل المغربي[1]، فضلاً عن ذلك فقد قام عبدالله بن خزر بمهاجمة القواعد الفاطمية في المغرب الأوسط وعلى رأسها مدينة المسيلة التي كانت تخضع لحكم بني حمدون أعوان الفاطميين، كما قام بشن هجمات على مدينة تاهرت مركز تجمع الفاطميين قاطعاً عنهم الإمدادات التي كانت تصلهم من افريقية وذلك من خلال سيطرته على طريق المواصلات بين تاهرت وافريقية وهذا قول ابن حيان[2] الذي أكده بالقول الآتي: " **وأقام بجيشه – يقصد عبدالله- بسوق ابن ماها، مغاوراً لأهل مدينة تيهرت قاعدة الشيعة ونقرة مشاينها قاطعاً للميرة عنهم حاجزاً بين افريقية وبينهم**".

ظلت مدينة تاهرت بعد ذلك مركزاً للصراع بين الفاطميين من جهة وقبيلة زناتة وحلفاؤها الأمويين من جهة أخرى وذلك بسبب موقعها الاستراتيجي بين مركز الخلافة الفاطمية في افريقية وبلاد المغرب الأوسط ، وقد حاول زعماء زناتة الاستيلاء على هذه المدينة أكثر من مرة إلا ان الفاطميين استماتوا في الدفاع عنها لأنها قاعدة انطلاقهم نحو المغرب الأوسط ، وبعد فتح الخليفة عبد الرحمن الناصر لمدينة سبتة(319هـ/931م)[3]، اظهر أمير زناتة محمد بن خزر عزمه على فتح مدينة تاهرت ويتضح ذلك جلياً من الرسالة التي بعث بها زعيم زناتة إلى الخليفة الناصر الأموي يحثه فيه على تقديم المساعدات من الأسلحة ومن الرجال الذين لديهم خبرة في حصار المدن

---

(1) ابن عذاري، البيان، ج1، ص193.

(2) ابن حيان، المقتبس، تحقيق شالميتا ، ص259.

(3) ابن حيان، المقتبس، تحقيق شالميتا ، ص303.

" **فأني ارى سيدي أمير المؤمنين أن يقوي عبده، الساعي في دولته بأسه من ذلك كله، بالذي يرى لنا فيه صلاحاً وسعينا نجاحاً، ممن يكون له اوفق، وبنا أرفق، من القوة والعدة وأصناف الأسلحة والنشاب والآلة والرماة، وبعض من يحكم سياسة محاصرة الحصون وتكمّل حمال العساكر الكبار الثقال، فأن عندنا ما شئت من خيل ورجال ومساعير الأبطال الكماة، ذوي عدة وعدد وبأس وجلد، من صنوف العشائر وضروب العساكر والحماة الكفاة والأبطال الكماة فقد نهدناهم لتقليص أطراف اليهودي من تاهرت**" [1] منوهاً في الوقت نفسه إلى انتقاله مع أهله وخاصته وجنده ورعيته إلى مقره الجديد في مدينة تسفا الواقعة إلى الغرب من مدينة تاهرت من أجل تسهيل اتصاله بالدولة الأموية في الأندلس في حال مهاجمة تاهرت لضمان وصول الإمداد وتحقيق الهدف المنشود في استعادة المدينة المذكورة [2] إذ عد محمد بن خزر زعيم زناتة الاستيلاء على هذه المدينة أولوية في صراعه مع الفاطميين لما تتمتع به من موقع مميز بالنسبة للفاطميين فهي كما ذكرنا آنفاً حلقة وصل بين المغرب الأوسط وافريقية ، وهذا ما أكده محمد بن خزر في رسالته للناصر الأموي " **وها نحن ياسيدنا أعزك الله، عازمون والعزيمة لله، على النهوض إلى المدرة السوء، تاهرت، وما هنالك لاغتيال ومحاصرة الفاسقين بها والتغيير عليهم، وقطع المرافق عنهم وحل عرى اليهودي منها، وابعاد رجسه عنها، وهي كما بلغك من وعورتها وصعوبتها وشموخ أجبلها وأشب شعاريها** "[3].

---

[1] ابن حيان، المقتبس، تحقيق شالميتا، ص 303.

[2] ابن حيان، المقتبس، تحقيق شالميتا، ص301- 302.

[3] ابن حيان، المقتبس، تحقيق شالمينا ، ص303.

إلا ان مشروع بنو خزر في الاستيلاء على مدينة تاهرت لم يحالفه النجاح إذ لم تشر المصادر المتوفرة بين أيدينا على ان مدينة تاهرت دخلت في طاعة بنو خزر الزناتيين، بل على العكس من ذلك فقد أكد ابن عذاري[1] ان المدينة المذكورة لم تخرج من أيدي الفاطميين وان الوالي عليها في هذه الحقبة هو يصل بن حبوس شقيق القائد الفاطمي مصاله بن حبوس .

أما بالنسبة لموقف الدولة الفاطمية من التوسع الأموي في المغرب الإسلامي فلم يكن موقفاً حازماً إذ اكتفت بمباركة الانتصارات التي كان يحققها موسى بن العافية على الادارسة وبنو خزر الزناتيين على حد السواء فهو عاملهم على المغرب ولم ينحرف عن دعوتهم بل ظل وفياً لهم، وكان الفاطميون يعتبدون امتداد نفوذ موسى بن العافية في المغرب هو امتداد لسيادتهم[2].

فضلاً عن ذلك فقد حاول الخليفة الفاطمي عبدالله المهدي استمالة الزعيم الزناتي محمد بن خزر إلى جانبه مستعملاً في ذلك كل وسائل الإغراء والترغيب لكن كل تلك الوسائل لم تجد نفعاً مع الأمير محمد بن خزر الذي اظهر تمسكه بالدعوة الأموية وهذا ما أكده ابن خزر نفسه في رسالته التي بعث بها إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر " **ولم ينشب ان ورد كتاب اليهودي الينا، يذكر فيه نزوع الغاوي فلفل أخي إليه، ورغبته فيما لديه، واعترافه بالحق، ورجوعه عن الباطل وحسن قبوله إياه، وكرم منزلته عنده، وأعطاه إياه كل ما سأله منه، وأمله لديه ويحضني على امتثال فعله، ويندبني إلى الرجوع إليه ويرغبني في الولوج في طاعته والتمسك بسنته ويمنيني على ذلك الكثير،**

---

[1] البيان المغرب، ج1، ص198.

[2] ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص85 ؛ السلاوي، الاستقصا، ص188.

ويعدني بالجزيل ويقول لأنه لا يحاول مني ذهباً ولا فضة ولا يكفلني نائبه غير الافتتاح باسمه، والخطبة في المنابر عليه، وصرف السكة بذكره، وإرسال أحد ولدي إليه أو بعض إخوتي ليشيع في الناس إني قد رجعت إليه وصرت في طاعته"[1].

ومن الجدير بالذكر ان سياسة عبدالله المهدي في اجتذاب ملوك زناتة خلال هذه المرحلة قد قطفت ثمارها، إذ خرج فلفل بن خزر عن طاعة أخيه محمد والتجأ إلى الخليفة الفاطمي عبيد الله [2] إذ تظاهر بالخروج إلى المراعي لرعي ماشيته وابعد بها حتى وصل إلى حواضر الفاطميين فاستقبله عبدالله المهدي مع من كان معه من إخوته وأصحابه وبالغ بإكرامهم وهذا ما أكده ابن حيان [3] على لسان محمد بن خزر في رسالته إلى الخليفة الناصر " **والذي أردت علمه أعزك الله، من خبر أخي فلفل هداه الله، في حسده لنا وبغيه علينا، وسوء سيرته ونقل ضميره وسريرته، الذي البسه الله رداءها بما اكتسب من معصيته، وذلك أنه رحل عنا من غير إذن منا، ولا مطالعة ولا مشاورة لنا، وزعم عند عزمه على الرحيل ، ان يلتمس خصب المرعى لمنافع الماشية فأبعد النجعه ولم يزل يطوي السباسب والقفار والأودية والمهامه، متنكباً للحواضر والسبل المسلوكة حتى ورد أطراف أعمال اليهودي، المبدل للدين الخارج عن ملة المسلمين، فنزع إليه هو وولده، وشرذمة معه ممن تبعه وشايعه في أمره وصحبه في غوايته ، فلما وردد على اليهودي تلقاهم بالسرور والحبور ومناهم الكثير**" .

غير ان نفوذ الفاطميين في المغرب الإسلامي قد تعرض إلى ضرب موجعة عندما أعلن موسى بن أبي العافية المكناسي خروجه عن طاعة الفاطميين ودخوله في

---

[1] ابن حيان، المقتبس، تحقيق شالميتا ، ص204.

[2] ابن خلدون، العبر، ج7، ص31.

[3] المقتبس، تحقيق شالميتا، ص303- 304.

طاعة الدولة الأموية في الأندلس[1] ، فألغى الخطبة على المنابر باســم عبدالله المهدي زعيم الدولة الفاطمية وأعلنها لعبد الرحمن الناصر الأموي على جميع منابر المغرب التي تدين بالولاء له[2].

أمام هذا الانقلاب الخطير الذي قام به موســى بن أبي العافية، أرســل عبدالله المهدي جيشاً كبيراً وصل قوامه إلى عشرة آلاف مقاتل اسند قيادته إلى حميد بن يصلتن الكتامي، وكان ذلك سنة (320هـ/932م)، فتقدم حميد بن يصلتن باتجاه العدوة وبصحبته حامد بن حمدان الهمداني الذي كان قد فر من فاس بعد دخول موسى إليها[3].

فلما علم مدين بن موســى وكان والده قد عينه على عدوة القرويين بقدومهما إلى فاس، فر عنها إذ لحق بابيه فدخلها حميد واســتعمل عليها حامد بن حمدان ثم عاد إلى افريقية مرة أخرى[4].

ظل حامد بن حمدان الهمداني والي على مدينة فاس من قبل الفاطميين إلى ان ثار عليه أحمد بن أبي بكر الجذامي سنة (322هـ/933م)، وذلك عقب وفاة الخليفة الفاطمي عبدالله المهدي، فقتل حامد بن حمدان وعادت الدعوة في فاس باسم الخليفة عبد الرحمن الناصر[5] وقد أشار ابن حيان إلى هذه الحملة إذ ذكر ان موسى بن أبي العافية قد أرسل كتاباً إلى الناصر يخبر بحملة حميد بن يصلتن على أرض العدوة المغربية وطلب منه الإمدادات العسكرية من أجل

---

[1] ابن أبي زرع، الانيس المطرب، ص85 ؛ السلاوي، الاستقصا، ج1، ص188.

[2] ابن خلدون، العبر، ج7، ص31؛ المقري، نفح الطيب ، ج2، ص328.

[3] البكري، المسالك والممالك، ص312.

[4] ابن خلدون، العبر، ج4، ص169.

[5] البكري، المسالك والممالك، ج2، ص312؛ ابن أبي زرع، الانيس المطرب، ص85.

التصدي لهذه الحملة وقد أجابه الناصر لذلك وذكر ابن حيان بهذا الصدد[1] ان كتاب موسى بن أبي العافية قد وصل إلى الناصر "**يذكر ان حميد بن يصل قائد الشيعي، اقبل في جمع أمده به الشيعي، لما اشتد قلقه من نكوصه عنه، واستعظم انتشار دعوة الناصر لدين الله بأرض العدوة ، فثوى حميد عن ذلك وأمره بالخروج نحوه، يعلمه بما يرومه من ذلك، ويذكر انه وان كان في كثف من رجاله وقوة من شأنه، فلا غنى به عن إمداد الناصر لدين الله وتقوية سبته وإنفاذ الرماة والقوه إليه، فأجابه الناصر لدين الله إلى ما سأله من ذلك**"، ومن الجدير بالذكر ان قبيلة زناتة قد شاركت موسى بن أبي العافية في التصدي لحملة الفاطميين بقيادة حميد بن يصلتن لاسيما بعد ان استطاع الناصر عقد الصلح بين موسى بن أبي العافية زعيم مكناسة ومحمد بن خزر زعيم زناتة بسبب القطيعة بين الطرفين والتي تعود إلى الحقبة التي سبقت مبايعة موسى بن أبي العافية للخليفة عبد الرحمن الناصر، أي عندما كان والياً للفاطميين، وقد أكد ابن خلدون[2] هذه المشاركة حينما قال " **وزحف إلى المغرب حميد بن يصل سنة إحدى وعشرين في عساكر كتامة إلى عبدالله على تاهرت فانتهى إلى فاس وأجفلت أمامه ظواعن زناتة ومكناس ودوخ في المغرب**".

المبحث الثاني

---

[1] المقتبس، تحقيق شالميتا، ص326- 327.

[2] العبر، ج7، ص31.

العلاقات العسكرية بين زناتة والفاطميين من بداية عهد القائم وحتى نهاية عهد المعز (322-361هـ/ 933-971م)

أولاً- العلاقات في عهدي القائم والمنصور(322-341هـ/933-952م)

ذكرنا فيما مر آنفاً الحملة الكبيرة لتي قادها حميد بن يصلتن على مدينة فاس من أجل تأديب موسى بن أبي العافية لخروجه عن طاعة الفاطميين وقد استطاعت هذه الحملة دخول مدينة فاس وطرد موسى باتجاه الصحراء، إلا ان النتائج الجيدة التي حققتها هذه الحملة لم تستمر طويلاً إذ بمجرد عودة القائد الفاطمي حميد بن يصلتن إلى افريقية حتى عادت الأوضاع إلى طبيعتها واستعاد موسى بن أبي العافية سيطرته على مدينة فاس[1] لم يرضِ الخليفة الفاطمي القائم بأمر الله (322-330هـ/933-941م) بما وصلت إليه الأوضاع في بلاد المغرب الإسلامي لذلك قام بإعداد حملة كبيرة لاستعادة نفوذ الدولة الفاطمية في المنطقة المذكورة واسند قيادة هذه الحملة إلى ميسور الفتى، الذي تحرك في سنة(323هـ/934م) نحو مدينة فاس[2] وبعد حصار المدينة لعدة أيام خرج واليها من قبل الأمويين محمد بن بكر إلى القائد الفاطمي وأعلن بيعته للدولة الفاطمية، وقدم الهدايا والأموال فقبض ميسور ما قدمه إليه ثم اعتقله وأرسله إلى المهدية وهذا ما أكده ابن عذاري[3] حينا قال: " **وفي هذه السنة – يقصد سنة 323هـ- وصل ميسور الصقلبي إلى مدينة فاس فخرج إليه صاحبها أحمد بن أبي بكر بن أبي سهل الجذامي، فغدره وقبض عليه، وبعث به إلى المهدية**" ، ويضيف ابن أبي زرع [4] ان

---

(1) ابن أبي زرع، الانيس المطرب، ص85.

(2) السلاوي، الاستقصا، ج1، ص190.

(3) البيان المغرب، ج1، ص209.

(4) الانيس المطرب، ص86.

أهل فاس منعوا ميسوراً من دخول المدينة بسبب تصرفه مع أحمد بن أبي بكر وقدموا على أنفسهم حسن بن قاسم اللواتي، مما دفع ميسور إلى محاصرة المدينة لمدة سبعة أشهر ولم يتمكن من دخولها، عندئذ صالح أهلها على مبلغ ستة آلاف دينار، فضلاً عن مبايعتهم للخليفة القائم الفاطمي، أما بالنسبة لمصير موسى بن أبي العافية فقد ذكر البكري[1] انه فقد كل ممتلكاته لصالح الأدارسة الذين ساعدوا ميسور في حملته وهرب هو باتجاه الصحراء حتى توفي هناك " **ولما ورد ميسور إلى المغرب حاصر موسى بن أبي العافية وتولى معظم تلك الحروب بنو إدريس، حتى جلى موسى بن أبي العافية إلى الصحراء وصار كل ما كان بيده إلى إدريس**".

استفادت قبيلة زناتة كثيراً من تقلص نفوذ قبيلة مكناسة في المغربين الأوسط والأقصى، نتيجة المنافسة الشديدة بين الطرفين للاستحواذ على البلاد المذكورة والتي وصلت في الكثير من الأحيان إلى الصدام المسلح بين أمير زناتة محمد بن خزر وأمير مكناسة موسى بن أبي العافية لولا تدخل الخلافة الأموية وهذا ما أكده ابن حيان[2] حينما قال: " **واتفق ان جرى بين هذين الأميرين محمد وموسى، في هذه السنة تنازع في الأعمال، أفضى إلى وحشه، ونتج بعض القطيعة حتى تصدى الناصر لدين الله لحسم ما صدر بينهما، وعاذ أن يعود اختلافهما لفساد أحدهما على الدولة، لأن موسى لم يكن لديه بالموثوق الطاعة، إذ كان والي عبيدالله الشيعي أول نجومه وارتسم بولايته ثم مال عنه إلى الناصر لدين الله** " وقد صادف مع ذلك تقلص نفوذ الدولة الفاطمية في المغرب الإسلامي بسبب فتنة أبي يزيد مخلد بن كيداد التي شغلت عهد القائم وجزءاً من عهد المنصور الفاطمي (334-341هـ) إلى أن انتهت في سنة

---

[1] المسالك والممالك، ج2، ص312.

[2] المقتبس، تحقيق شالميتا، ص307.

(336هـ/947م)، وهذا ما تم تناوله في الفصل الأول من الدراسة [1] لذلك وجد الزناتيون الفرصة مؤاتية لاستعادة نفوذهم المفقود في المغرب الأوسط، ولاسيما مدينة تاهرت التي حظيت باهتمام كبير من قبل الزناتيين، إذ استطاع أمير زناتة الخير بن محمد بن خزر من دخول المدينة سنة (333هـ/944م)، ويتضح ذلك جلياً من الرسالة التي بعث بها محمد بن خزر إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر يخبره بدخوله مدينة تاهرت وإقامة دعوة الأمويين فيها[2] ومن الجدير بالذكر أن فتح محمد بن خزر لمدينة تاهرت كان بمساعدة من قبل القائد الفاطمي حميد بن يصلتن الذي أعلن انشقاقه عن الدولة الفاطمية ودخوله في طاعة الدولة الأموية في الأندلس وكان ذلك سنة(328هـ/939)، وحسبما ذكر ابن خلدون[3] لكن يبدو أن أهل تاهرت قد نقضوا طاعة الأمويين وعادوا إلى طاعة الفاطميين، وهذا ما أكده ابن عذاري عند حديثه عن حوادث سنة (338هـ/949م)، إذ ذكر أن الأمير الخير بن محمد بن خزر الزناتي، قد حارب أهل تاهرت واستنجدوا بالقائد ميسور الخصي، واحتدمت المعركة بين الطرفين، وانتهت بانتصار الأمير الخير بن محمد ووقوع القائد ميسور وحليفه القائد عبدالله بن بكار بيده، وهذا ما أكده ابن عذاري حين قال[4]: " **إن الخير بن محمد بن خزر الزناتي وصل إلى تاهرت فحاربها، فاستنصر أهلها بميسور قائد الشيعي، فالتقوا فدارت الدائرة على ابن خزر أول نهارهم، ثم كانت الكرة لزناتة ودخل الخير أميرهم مدينة تاهرت، وأخذ قائد الشيعي أسيراً في عدة من أصحابه، ووقع بيده عبدالله بن بكار اليفرني الذي توجه إلى الشيعي**

---

[1] ابن عذاري، البيان، ج1، ص216-218.
[2] ابن حيان، المقتبس، تحقيق شالميتا، ص212.
[3] العبر، ج7، ص31.
[4] البيان المغرب، ج2، ص216.

برأس أيوب بن أبي يزيد، فأرسل به إلى يعلى بن محمد بن صالح اليفرني ليقتله بوالده بعدما كان أخذ كل ما عنده، فلم يرض يعلى بذلك ولا رآه كفواً لعبده فكيف لوالده، ودفعه المذكور إلى رجل من البربر كان قد قتل ابنه، فقتله به" ومن الجدير بالذكر أن الخليفة المنصـــور الفاطمي وبعد قضـــائه على حركة ابن يزيد مخلد بن كيداد ســـنة (336هـــ/947م)، قرر الانتقام من قبيلة بنو يفرن الزناتية المتواجدة في نواحي تلمسان في المغرب الأوســط لمســاندتها حركة مخلد، لذلك أوعز لعبدالله بن بكار اليفرني الذي أظهر الولاء للدولة الفاطمية لاستحكام العداوة بينه وبين قريبه محمد بن صــالح اليفرني فقام باغتياله، وبذلك تخلص المنصور الفاطمي من اشد أعدائه في المغرب وأكثرهم ولاء للدولة الأموية وهو محمد بن صالح اليفرني [1].

بعد الانتصـــار الكبير الذي حققته قبيلة زناتة بالاســـتيلاء على مدينة تاهرت الإســـتراتيجية، قام يعلى بن محمد الذي خلف والده في حكم بنو يفرن بإنشـــاء مدينة أفكان[2] لتكون حاضــرة لإمارته كما قام بالدعوة للأمويين في الأندلس نكاية بالفاطميين، وقد كافأه الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصــر بأن أسـند إليه ولاية المغرب وأعمالها في سنة (340هـ/951م) [3] كما طلب يعلى بن عبد الناصر الأموي أن يولي أهل بيته على أمصــار المغرب، فولى الناصــر محمد بن الخير بن محمد على مدينة فاس لكن محمد هذا اعتزل الولاية ورحل إلى الأندلس للرباط والجهاد، فتولى أمر فاس من بعده أحمد بن

---

[1] ابن خلدون، العبر، ج7، ص21.

[2] مدينة بين تلمسان وتنس، وكانت سوق قديمة من أسواق زناتة ولما شرع يعلى بن محمد بن صالح اليفرني في تعميرها سنة 338هـ/949م، رحل إليها نفر كبير من أهل تاهرت ووهران. الإدريسي، نزهة المشتاق، ج1، ص251؛ البكري، المسالك والممالك، ج2، ص262؛ مؤلف مجهول، الاستبصار، ص135.

[3] البكري، المسالك والممالك، ج2، ص262 ؛ ابن خلدون، العبر، ج7، ص21.

أبي بكر بن عثمان الزناتي وهو الذي بنى صومعة جامع القرويين سنة (344هـ/955م) [1] كما قام الأمير يعلى بن محمد بمهاجمة مدينة وهران فانتزعها من يد واليها محمد بن أبي عون وهذا ما أكده البكري[2] عند حديثه عن المدينة المذكورة إذ قال: " **فلم تزل في عمار [يقصد وهران] وكمال وزيادة وحسن حال إلى أن أوقع يعلى بن محمد بن صالح اليفرني بازداجه بجبل قيدو، وفرق جماعتهم، وكانت الوقيعة بينهم يوم السبت للنصف من جمادى الأولى سـنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة، فدخل يعلى مدينة وهران، وملكها ثم نقل أهلها إلى مدينته المعروفة، وذلك في ذي القعدة من العام المؤرخ، وخربت مدينة وهران وحرقها، وبقيت كذلك سنين، ثم تراجع الناس إليها وبنيت** " .

وفي آخر جمادى الآخرة سنة (341هـ/952م)، رحل الأمير فتوح بن الخير بن محمد بن خزر إلى قرطبة ومعه وجوه أهل مدينتي تاهرت ووهران ليؤكدوا طاعتهم للخلافة الأموية، حاملين معهم رؤوس القادة الفاطميين الذين قتلوا في المعارك في المغرب الأوسط وفي مقدمتهم رأس القائد ميسور الخصي وقد أكد ابن عذاري [3] هذه السفارة حينما قال:" **وفي آخر جمادي الآخرة وصل إلى قرطبة فتوح بن الخير بن محمد بن خزر كبير أمراء زناتة بأرض المغرب، وافداً إلى الحضـرة، ومعه وجوه أهل تاهرت ووهران وادخل بين يديه الرؤوس التي أحضـرها للقواد المشـارقة ووجوههم من رجال إسـماعيل الشـيعي العبيدي يقدمها رأس ميسـور الخصـي ورأس محمد بن ميمون وغيرهما من رؤوس أعلام الشيعة، وعشرة من بنودهم، أدخلت منكسة معها عدة من**

---

(1) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص88؛ السلاوي، الاستقصا، ج1، ص197.
(2) البكري، المسالك والممالك، ج2، ص253.
(3) البيان، ج2، ص418 .

طبولهم، فرفعت هذه الرؤوس والبنود والطبول على باب قصر قرطبة وأقيمت له ولمن جاء معه الكرامات الواسعة" .

ونتيجة لإخلاص قبيلة زناتة للدولة الأموية في الأندلس فقد منحها الخليفة عبد الرحمن الناصر ولاية المغرب التي جعل على رأسها يعلى بن محمد بن صالح اليفرني[1] سنة (347هـ/958م) أضاف الناصر لحكم يعلى بن محمد مدينة طنجة وأحوازها، فنزلها بنو يفرن حسب ما ذكر ابن أبي زرع [2] وبذلك خرجت جميع أنحاء المغرب الأوسط والأقصى عن سيطرة الفاطميين ومما زاد الأمر سوء هو إعلان حاكم سجلماسة محمد بن الفتح بن ميمون خلع طاعة الفاطميين وإعلان الولاء للدولة الأموية في الأندلس، إذ تلقب بالشاكر لله وسك العملة باسمه[3].

ثانياً- العلاقات في عهد المعز ابن الله(341-361هـ/952-971م)

إن التطورات التي شهدها المغرب الإسلامي دفعت الخليفة الفاطمي المعز إلى إرسال حملة كبيرة بلغ تعداد جندها أكثر من عشرين ألف فارس من قبيلتي كتامه وصنهاجة وغيرها من القبائل، وعين على رأس هذه الحملة قائده جوهر الصقلي الذي تمكن من اجتياح المغربين الأوسط والأقصى حتى وصل إلى المحيط الأطلسي وأنزل الهزيمة بحلفاء الأمويين من زناتة ومنهم بنو يفرن وبنو خزر، وتمكن من إعادة الدعوة للفاطميين في هذه المنطقة، وقد علق ابن أبي زرع [4] على هذه الحملة حينما قال: **"اتصل الخبر بالشيعي صاحب افريقية بغلبة الناصر الأموي على جميع بلاد العدوة،**

---

[1] ابن خلدون، العبر، ج7، ص32.

[2] الأنيس المطرب، ص88-89.

[3] البكري، المسالك والممالك، ج2، ص336.

[4] الأنيس المطرب، ص89.

وأن جميع من فيها من قبائل زناتة والبربر رفضـوا دعوتهم ودخلوا في بيعة بني أمية، فعظم الأمر على معد بن إسـماعيل فبعث قائده جوهراً الصـقلي في جيش عظيم يزيد على عشرين ألف فارس من قبائل كتامه وصنهاجة وغيرها، وأمره أن يطأ بلاد المغرب ويذللها ويستنزل من لها من الثوار ويشـد وطأته عليهم" أما عن تفاصـيل هذه الحملة فقد خرج جوهر الصقلي من القيروان سنة (347هـ/958م) وبلغ خبر خروجه والي طنجة من قبل الدولة الأموية يعلى بن محمد اليفرني، فحشـد بني يفرن وزناتة وبقية القبائل الموالية للأمويين في العدوة المغربية، والتقى مع جوهر الصـقلي قرب مدينة تاهرت ودارت بين الطرفين معركـة كبيرة لجأ فيها جوهر إلى بث الحماس في نفوس جنوده وأغدق الأموال على قادة كتامه، وانتهت هذه المعركة بهزيمة زناتة واسـتيلاء جوهر على مدينة تاهرت[1].

أما بخصـوص مصـير القائد الزناتي يعلى بن محمد اليفرني، فقد اختلفت المصـادر في ذكر قصـة نهايته فابن أبي زرع [2] ذكر أن القائد جوهر الصـقلي قد بذل الأموال لقواد كتامه فضـمنوا له قتل أمير زناتة يعلى بن محمد، فلما اشـتد القتال خرجت له مجموعة من قواد كتامه واسـتطاعت من قتله وبعث برأسـه إلى المعز فطيف به في القيروان، أما ابن خلدون [3] فذكر رواية أخرى مفادها أن يعلى بن محمد بادر إلى لقاء جوهر عند قدومه وأذعن له وبايعه فأظهر جوهر القبول ثم دس إليه من اغتاله وتفرق بنو يفرن وزناتة بعد مقتل أميرهم وبعد مدة التأم ملكهم على ولده يدو بن يعلى بن محمد اليفرني.

---

[1] مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص94 ؛ السلاوي، الاستقصا، ج1، ص198.

[2] الأنيس المطرب، ص90.

[3] العبر، ج7، ص22.

مهما يكن الأمر فقد استطاعت الدولة الفاطمية التخلص من أشد أعدائها وهو يعلى بن محمد الذي سبب لها الكثير من المتاعب فضلاً عن كونه السبب المباشر في تقوية شوكة أمويي الأندلس في المغرب الإسلامي من خلال استيلائه على تاهرت ووهران وغيرهما من مدن العدوة المغربية وحكمها باسم الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر [(1)].

تابع جوهر بعد ذلك تقدمه نحو مدينة سجلماسة حتى دخلها عنوة وأسر أميرها محمد بن الفتح [(2)] وحسب رواية القاضي النعمان [(3)] فأن جوهر الصقلي قد دخل المدينة دون قتال، فبمجرد اقتراب الجيش الفاطمي من سجلماسة استولى الخوف على الأمير محمد بن الفتح وحاول الفرار من المدينة إلا أن أهلها قبضوا عليه بإيعاز من جوهر الصقلي وقاموا بتسليمه للقائد المذكور وبذلك دخل المدينة دون قتال.

توجه جوهر الصقلي بعد ذلك نحو مدينة فاس فحاصرها وتمكن من اقتحامها في سنة(348هـ/959م) بفعل بسالة الجنود الصنهاجيين واعتقل أميرها أحمد بن أبي بكر الزناتي من قبل الأمويين وعدد كبير من الأمراء الأدارسة وعهد بولاية عاصمتهم السابقة إلى قائد فاطمي [(4)].

وبعد فتح مدينة فاس توالى سقوط المدن المغربية الواحدة تلو الأخرى بين يدي القائد جوهر باستثناء طنجة وسبته، ولم يبق له سوى فتح هذين الثغرين الأمويين ليستولي على المغرب الأقصى بأسره ويهدد الأندلس، وبالفعل فأن الأخبار الواردة من

---

(1) ابن عذاري، البيان، ج2، ص222 ؛ البكري، المسالك والممالك، ج2، ص253.

(2) مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص94 ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص220.

(3) المجالس والمسايرات، ص289 -290.

(4) ابن أبي زرع، الأنيس، ص90.

المغرب منذ نهاية يعلى بن محمد اليفرني المفجعة قد أثارت الفزع أكثر فأكثر في الأندلس، واضطر الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر إلى التسليم بخضوع المغرب الأقصى للسلطة الأموية، لكنه بادر إلى تكثيف الاستعدادات الدفاعية في السواحل الأندلسية الجنوبية لاسيما في ناحية المرية التي وجه إليها إمدادات هامة من العسكر[1] وعلق ابن أبي زرع [2] على هذه الحملة حينما قال: " **ثم سار جوهر في بلاد المغرب يقتل أولياء المروانيين، ويفتح البلاد والمعاقل، وفرت أمامه القبائل من زناتة وغيرهم ، فأنفذ الأمر في المغرب ثلاثين شهراً، ثم انصرف إلى مولاه معد بن إسماعيل العبيدي بعد أن دوخ بلاد المغرب، وأثخن فيها وقتل حماتها وقطع الدعوة بها للمروانيين وردها للعبديين فخطب له على جميع منابر المغرب**" ، وقد حظي جوهر باستقبال خاص في مدينة المنصورية التي قدم إليها مصحوباً بمجموعة من الأسرى، في مقدمتهم عدد كبير من الأمراء الأدارسة وصاحبا فاس وسجلماسة المتمردان محمد ابن أبي بكر وابن واسول، وقد عامل الفاطميون الأمراء الأدارسة معاملة حسنة لانتسابهم إلى آل البيت(عليهم السلام)، وأما محمد بن أبي بكر زعيم فاس ومحمد بن الفتح زعيم سجلماسة فقد اعتقلا في سقيفة قصر الخليفة[3].

وبذلك استطاعت حملة جوهر الصقلي أن تضع حد لتطاول قبيلة زناته على نفوذ الفاطميين في المغربين الأوسط والأقصى، واستطاعت الحملة أيضاً أن تكسر شوكة الزناتيين وتذهب بهم بعيداً باتجاه المناطق النائية في المغرب الأقصى والتحق قسم منهم بالدولة الأموية في الأندلس.

---

(1) القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، ص217.

(2) الأنيس المطرب، ص90.

(3) القاضي النعمان، المجالس والمسايرات ، ص 418، ص458.

بقيت الأوضاع في المغرب الإسلامي تحت سيطرة الفاطميين بعد انسحاب جوهر الصقلي نحو افريقية حدود سنة (349هــ/960م)، ولم تحرك الدولة الأموية في الأندلس ســاكناً تجاه التغييرات التي حدثت في المغرب، إذ شـــهدت هذه المدة وفاة الخليفة عبد الرحمن الناصر وتولي ابنه الحكم المستنصر للخلافة سنة (350هـ/961م)[1] الذي عمل جاهداً على تحصـين حدود الدولة الجنوبية والشـرقية من الخطر الفاطمي[2] أما بالنسـبة للخليفة الفاطمي المعز فقد انشـغل هذه المدة بتنفيذ مشـروعه للسـيطرة على مصـر، وتم ذلك سنة(358هـــ/968م)، على يد قائده الشهير جوهر الصقلي وبالسيطرة على مصر تنطوي نهائياً فكرة ســيطرة الفاطميين على الأندلس[3] وقبل أن يغادر المعز لدين الله الفاطمي المغرب أخذ يفكر بالشـــخص الذي ســوف ينوبه على بلاد المغرب، وكانت أنظاره متجهة نحو بلكين بن زيري زعيم صـــنهاجة الأمر الذي آثار حفيظة جعفر بن علي بن حمدون[4] صاحب المسيلة والزاب، فحدث تنافس بين جعفر بن علي بن حمدون وبلقين بن زيري الذي كان يسـيطر على مدينة أشـير في المغرب الأوسـط، وأخذ بلكين يوسـع مناطق نفوذه على حسـاب أعمال جعفر بن حمدون بفعل العداء الشـخصـي فيما بينهما[5].

---

[1] ابن عذاري، البيان، ج2، ص232-233.

[2] ابن عذاري، البيان،ج2، ص236.

[3] ابن خلدون، العبر، ج4، ص57؛ النقيب، أحلام حسن، تاريخ الأندلس في على عصـر الخلافة، ص189.

[4] كان والده علي بن حمدون أحد الدعاة الفاطميين المقربين من الخليفة عبدالله المهدي ونتيجة للخدمات الجليلة التي قدمها للدولة الفاطمية فقد عينه المهدي حاكم على مدينة المســيلة والزاب وقد ورث جعفر حكم هذه المناطق عن والده . ابن خلدون، العبر، ج7، ص99.

[5] ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ص67؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص99.

ان الضـغط على بني حمدون دفعهم إلى إقامة تحالف وثيق مع قبيلة زناتة حليفة الدولة الأموية في الأندلس، وتوحيد إمكانياتها في مواجهة قبيلة صـنهاجة، وقد كشـف زيري بن مناد هذه العلاقة بعد الانتصـار الذي حققه على زناته، وقتل أميرها محمد بن الخير بن خزر [1] إذ اطلع على رسائل كان جعفر بن علي قد أرسلها إلى زناتة، تضمنت معلومات عن تحركات زيري ومواطن ضـعفه، فضـلاً عن ذلك فقد وجد عند محمد بن خزر فرساً لجعفر بن علي كان الخليفة قد منحه إياه، فاستغل ابن زيري ذلك لوسم جعفر عند الخليفة المعز بالخيانة مما جعل الأخير يكتب بعزله عن المسيلة ويطلب منه القدوم إلى المهدية [2] رفض جعفر بن حمدون طلب الخليفة المعز والتجأ بأهله وأمواله إلى قبيلة زناتة التي أحسنت استقباله وكان ذلك في سنة (360هـ/970م)[3].

ان تسارع الأحداث في المغرب الإسلامي وانضمام ابن حمدون إلى جانب زناته حليفة الأمويين جعلت الخليفة المعز لدين الله الفاطمي يستشعر الخطر، فأوعز إلى زير بن مناد قائده في المغرب بالتصـدي لهذا التحالف ودارت الحرب بين الطرفين انتهت بهزيمة الجيش الفاطمي ومقتل القائد زيري بن مناد الصنهاجي، وقطع المنتصرون رأس زيري وأخذه يحيى وجعفر أبناء علي بن حمدون إلى الخليفة الأموي المستنصـر فغمرها بعطفه وصـلاته [4] وبذلك قال ابن حيان [5]: **"وفي يوم الاثنين لثلاث خلون من ذي القعدة خوطب القواد والعمال بكور الأندلس المجندة في استقدام بياضها وأعلام رجالها**

---

[1] ابن خلدون، العبر، ج4، ص99.

[2] ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، (بيروت- 1965)، ص37.

[3] ابن خلدون، العبر، ج4، ص99.

[4] ابن خلدون، العبر، ج4، ص99.

[5] المقتبس، تحقيق: الحجي، ص41؛ ابن عذاري، البيان، ج2، ص243.

لمشـــاهدة دخول يحيى بن علي وبني خزر القادمين برأس زيري بن مناد الصـــنهاجي قائد معد صاحب أفريقية ورؤوس أعيان أصحابه التي حيزت في الوقيعة بزيري".

لم تقف الخلافة الفاطمية في المغرب مكتوفة الأيدي أمام الهزيمة التي حلت بجيشها، فقد سارع الخليفة المعز إلى إرسال حملة عسكرية كبيرة أسند قيادتها إلى بلكين بن زيري وكان الهدف من هذه الحملة هو تأديب زناتة وحلفائها بني حمدون فضـــلاً عن الأخذ بثأر زيري، التقى بلكين بجموع زناته في المغرب الأوسـط واسـتطاع من هزيمتهم وقتل مجموعة من أعيانهم ولم يبق منهم ســـوى الأمير محمد بن الخير بن خزر الذي أيقن من وقوعه بيد بلكين فعظم الأمر عليه [1].

قام بلكين بعد ذلك بمطاردة بنو خزر وباقي بطون زناتة لاستئصال جذورهم وهدم مدينة البصـــرة وغيرها من مدن المغرب الأقصـــى، وقطع دعوة الخلافة الأموية فيها، وبذلك قال ابن عذاري[2] : " **وفي ربيع الآخر من سنة 360هـــ التقى يوسف بن زيري الصـنهاجي المشـتهر اسـمه ببلقين، مع محمد بن الخير أمير زناتة فهزمه بلقين بن زيري، وقتل جماعة من أهله ورجاله، فلما أيقن محمد بن الخير أن عدوه قد أحاط به، اتكأ على سـيفه فذبح به نفســه أنفة من أن يملكه بلقين، فأتى بأمر عظيم سـار ذكره بأرض المغرب، وملك بلقين بن زيري إثر ذلك الغرب، وقتل زناتة وهدم مدينة البصـــرة وغيرها من مدن الغرب ولم يثن عناناً عن مدينة سبتة، ومنها رجع واليها كان انتهاؤه، وصــــدر عاجز عنها** " وقد علق ابن الأثير[3] على مقتل محمد بن الخير قائلاً: " **قتل**

---

[1] ابن عـذاري، البيـان، ج2، ص243 ؛ مؤلف مجهول، مفـاخر البربر، ص97 ؛ الســـلاوي، الاستقصا، ج1، ص200.

[2] البيان المغرب،ج2، ص243

[3] الكامل في التاريخ، ج7، ص327.

يوسف بن بلكين بن زيري ، محمد بن الحسين بن خزر وجماعة من أهله وبني عمه، وكان قد عصى على المعز لدين الله بافريقية وكثر جمعه من زناتة والبربر فأهم المعز أمره لأنه أراد الخروج إلى مصر فخاف أن يخلف محمداً في البلاد عاصياً وكان جباراً عاتياً طاغياً، اما كيفية قتله فأنه كان يشرب هو وجماعة من أهله وأصحابه فعلم يوسف به فسار إليه متخفياً فلم يشعر به حتى دخل عليه فلما رآه محمد قتل نفسه بسيف وقتل يوسف الباقين وأسر منهم فحل ذلك عند المعز محلاً عظيماً وعقد الهناء به ثلاث أيام" .

لاشك أن الحملات الصنهاجية المتكررة قد دفعت القبائل الزناتية إلى اللجوء إلى المغرب الأقصى حتى تكون بمنأى عن هجمات الفاطميين وحلفائهم الصنهاجيين إذ انظم زعيمهم يدو بن يعلى إلى جانب القائد جعفر بن علي بن حمدون الأندلسي[1] الذي عهد إليه الخليفة الأموي الحكم المستنصر مهمة إعادة الأمن إلى بلاد المغرب وقد أخلص يدو بن يعلى للأمويين وكان من أكثر زعماء زناتة الذين انضموا إلى جانب الأمويين قوة وأحسنهم طاعة، وقد أشار صاحب كتاب مفاخر البربر [2] إلى المعاناة الشديدة التي تعرضت لها قبيلة زناتة على يد صنهاجة العدو التقليدي في الحملة الأولى لبلقين بن زيري على المغرب " **فأوغل [يقصد بلكين] في ديار زناته وقتل منهم في مواطن كثيرة خلقاً لا يحصيهم إلا الله، واستولى على تاهرت والمسيله وطبنة وباغاي وبجايه[3] وبسكره وجميع المدن بالمغرب حتى لم يبق لزناتة في شيء منها أمر" .**

---

[1] ابن خلدون، العبر، ج4، ص100.

[2] مؤلف مجهول، ص97-98.

[3] مدينة تقع في المغرب الأوسط على ساحل البحر كان أول من بناها الناصر بن علناس بن زيري سنة (457هـ/1152م) . ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج1، ص39.

ولم تكن حملة بلقين بن زيري على زناتة سنة (361هـ/971م) الحملة الوحيدة، إذ تعرضت قبيلة زناتة إلى حملة أخرى من قبل القائد الصنهاجي المذكور آنفاً، وكان ذلك في سنة (369هـ/979م)، إذ تمكن بلقين بن زيري من دخول المغرب الأقصى ونزل مدينة فاس وفرت أمامه زناتة، وأمراءها من بني خزر المغراويين وغيرهم إلى سبته فحاصرهم، وعبر الأمير محمد بن الخير إلى الأندلس مستنجداً بالمنصور بن أبي عامر الذي خرج بجيشه إلى الجزيرة الخضراء، واتخذها قاعدة عسكرية للإشراف منها على العمليات الحربية، وعقد لجعفر بن علي بن حمدون على حرب بلقين، وعبر بجيشه إلى سبته، وجاء بلقين وصعد جبال تطوان وأطل على عساكر زناته وأهل الأندلس بساحة سبتة ورأى أنه لا قبل له بمحاربتهم ففك الحصار عنهم وعاد بجيشه إلى افريقية في سنة (372هـ/982م) [1] وبذلك قال ابن خلدون [2] : **"وزحف[يقصد بلكين] إلى المغرب الأقصى زحفته المشهورة سنة تسع وستين ، وأجفلت أمامه ملوك زناتة من بني خزر وبني محمد بن صالح، وانحازوا جميعاً إلى سبتة وأجاز محمد بن الخير البحر إلى المنصور بن أبي عامر صريخاً فخرج المنصور في عساكره إلى الجزيرة ممداً له بنفسه، وعقد لجعفر بن علي على حرب بلكين، وأجاز البحر وأمره بمائة حمل من المال فاجتمعت إليه ملوك زناتة، وضربوا مصافهم بساحة سبته، وأطل عليم بلكين من جبل تطاون فرأى ما قبل به فارتحل عنهم، وأشغل نفسه بجهاد برغواطة إلى أن هلك منصرفاً من المرغب سنة اثنين وسبعين " .**

---

[1] مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص106 ؛ السلاوي، الاستقصا، ج2، ص207.

[2] العبر، ج7، ص35.

ويعلل صـــاحب كتاب مفاخر البربر[1] ســـبب قيام بلكين بحملته الثانية على المغرب هو قيام خزرون بن فلفول بالاستيلاء على مدينة سجلماسة من يد صاحبها محمد بن الفتح الخارجي، وإقامة الدعوة فيها للخليفة المؤيد بالله هشـــام بن الحكم وهي أول دعوة للمراونيين في هذه المنطقة وكتب خزرون بالفتح لهشـام المؤيد وأرسـل برأس محمد بن الفتح إلى قرطبة إذ علق على باب الســـدة الأمر الذي أثار حفيظة بلكين بن زيري لخروج هذه المنطقة عن ســـيطرته لذلك قام بحملته المشـــهورة على بلاد المغرب الإسلامي.

ومن الجدير بالذكر أن يدو بن يعلى اليفرني قد خرج عن طاعة الأمويين في الأندلس، وذلك بعد وفاة الخليفة المستنصر سنة (366هـــ/976م) وذلك بسبب استئثار الحاجب المنصـــور بن أبي عامر بالســـلطة وإزاحته كبار رجال الدول أمثال الوزير الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي والقائد غالب الناصري وجعفر بن حمدون [2] ومع ذلك فقد واصل المنصور تطبيق السياسة الأموية تجاه بلاد المغرب على نحو ما كانت عليه في عهد كل من عبد الرحمن الناصـر ثم الحكم المسـتنصـر، تلك السـياسـة التي تهدف أساساً إلى مواجهة الخطر الفاطمي في بلاد المغرب عن طريق التدخل العسكري من جهة، والاعتماد على تأييد القبائل المغربية من جهة أخرى وكانت ببطونها وعشائرها المختلفة من أكثر قبائل المغرب ولاء للأمويين في الأندلس، وســـبق ان ذكرنا كيف تعرضـــت بفرعيها بنو يفرن وبنو خزر للتشـــريد باتجاه الصـــحراء بســـبب مواقفها المؤيد للدولة الأموية [3] وعلى هذا النحو ساد نوع من التوتر في العلاقة بين المنصور بن أبي

---

[1] مؤلف مجهول، ص105-106.

[2] ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص268.

[3] مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص97-98.

عامر وبني يفرن ولاسيما أن المنصور قد انحاز إلى جانب بني يفرن وزعيمهم زيري بن عطية مستغلاً حالة العداء بين الطرفين، وقد تنبه ابن خلدون [1] إلى هذه السياسة التي انتهجها المنصـــور بن أبي عامر بين بني يفرن وبنو خزر فقال: **" وكان يدو بن يعلى هذا من بين ملوك زناته كثير الاضـــطراب على الأموية والمراوغة لهم بالطاعة، وكان المنصـــور بن أبي عامر يضـــرب بينه وبين قرينه زيري بن عطية ويقرن كل منهما بمناغاة صاحبه وكان إلى زيري أميل وبطاعته لخلوصه أوثق وصدق طويته"**، ولاشك أن سياسة المنصور لم تكن خافية على يدو بن يعلى ولذلك انتهز فرصة قدوم الحسن بن كنون من مصر إلى بلاد المغرب رافعاً راية العصيان في وجه الأمويين بتحريض من الفاطميين، وبادر مع قبيلته بالانضـــمام لهذه الحركة [2] ولكن المنصـــور بن أبي عامر واجه هذه الثورة بكل حزم وســـير الجيوش من المغرب إلى الأندلس كما اســـتعان بزيري ومقاتل ابن عطية وقبيلتهما مغراوة وأمكنه بذلك القضـــاء على هذه الثورة [3]وبعد أن استتب الأمر في المغرب للمنصور بن أبي عامر قام بتعيين زيري بن عطية ملكاً على المغرب وعقد له مدينة فاس وكان ذلك بحدود سنة (376هـــ/986م)[4] نتيجة للخدمات الجليلة التي قدمها للدولة الأموية وبذلك اقتسمت زناتة حكم العدوة المغربية فكانت فاس وأعمالها من حصة زيري بن عطية الذي استطاع ان يقيم إمارة وراثية في مدينة فاس أما ابن عمه فلقول ابن خزرون فقد استولى على سجلماسة وأسس لإمارة هناك وهي إمارة

---

[1] العبر، ج7، ص25.

[2] ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص164-165؛ ابن خلدون العبر، ج7، ص25.

[3] ابن ابي زرع، الأنيس المطرب، ص94-95.

[4] مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص111.

بنو خزرون سنة (367هـ/977م) وكما ذكرنا آنفاً [1] أما بنو يفرن فقد انحازوا إلى مدينة سـلا على عهد أميرهم حمامة بن زيري وأسسوا هناك إمارة وراثية أخذت عل عاتقها مقاتلة الأمويين في الأندلس[2] هذه الإمارات الزناتية الثلاث في العدوة المغربية هي مادة الفصل الثالث من دراستنا هذه.

[1] مؤلف مجهول، مفاخر البربر ، ص105-106.

[2] ابن خلدون، العبر، ج7، ص26.

المبحث الأول

قيام إمارة بني خزرون الزناتية في سجلماسة

(366-461هـ/976-1069م)

تعود علاقة بني خزرون الزناتيون بسجلماسة[1] إلى عهد خزرون بن فلفل بن خزر المغراوي أحد أعيان بني خزرة ومن أمراء مغراوة وكان يدين بالولاء للمروانيين[2] في الأندلس وبالأخص منهم القائم بدولة المؤيد هشام الحاجب المنصور بن أبي عامر الذي عمل على تثبيت حكم الأندلسيين في بلاد المغرب الإسلامي معتمداً على أمراء زناتة من مغراوة وبني يفرن ومكناسة[3] في ضبط أقاليمه وبناءً على ذلك تعهدوا له بالطاعة والتقرب إليه[4]. ويتضح مما تقدم أن خزرون بن فلفول أصبح أول أمراء مغراوة الذي عقد له على سجلماسة وأعمالها إذ جاءه العهد من الأندلس .

وبناءً على ما تقدم قام خزرون بتوحيد أبناء قبيلة مغراوة والتقدم بهم إلى سجلماسة سنة (366هـ/976م) فبرز إليه حاكمها المعتز بالله المدراري وانتصر خزرون عليه وأعلن خزرون الدعوة للمؤيد هشام وهكذا أصبحت أول دعوة للمروانيين في سجلماسة[5]. وبهذا الانتصار استولى خزرون بن فلفول على أموال المعتز بالله المدراري وأسلحته

---

[1] مدينة في أقصى جنوب المغرب الأقصى اشتهرت بكثرة نخيلها وأعنابها وقصورها واشتهرت بتجارة الملح والنحاس والذهب والعاج. ينظر: البكري، المغرب، ص148؛ مؤلف مجهول، الاستبصار، ص201.

[2] ابن خلدون، العبر، ج7، ص37.

[3] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص665.

[4] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص657؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص52.

[5] مجهول، مفاخر البربر، ص16.

وأرسل كتاباً بفتح مدينة سجلماسة إلى الخليفة هشام المؤيد وبصحبته رأس المعتز بالله وبهذا تم عقد هشام المؤيد الإمارة لخزرون على سجلماسة ولابنه وانودين من بعده [1].

ان انتصار خزرون بن فلفول على المعتز بالله ودخوله سجلماسة يعني استيلاؤه على دولة بني مدرار وأقاليمها كافة، لأن مدينة سجلماسة تعد عاصمة بني مدرار وربما أرسل خزرون بعضاً من قواته إلى أقاليم الدولة الأخرى منها على سبيل المثال لا الحصر إقليم درعة[2]، وبلاد القبلة لبسط سلطان الدولة الجديدة عليها . وبدأ خزرون متابعة الحكام من بني مدرار ومحاربة مذهبهم الصفري الذي كان سائداً في تلك الأقاليم وهذا ما أشار إليه ابن خلدون[3] قائلاً: " **وبرز إليه المعتز فهزمه خزرون واستولى على سجلماسة ومحي دولة آل مدرار والخوارج منها آخر الدهر**"[4] .

وبذلك أسدل الستار عن حكم المدراريين للمدينة وبدأت حقبة الحكم الزناتي لسجلماسة متمثلاً ببني خزرون الزناتيين.

بعد عقد الإمارة لخزرون بن فلفول سعى جاهداً إلى ضبط الأمور الإدارية في المدينة وهذا ما أكده ابن خلدون[5] عندما قال: " **فضبطها وقام بأمرها** " ، وظل ابن

---

[1] ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص230 ؛ ابن خلدون، العبر، ج7، ص45 ؛ العبادي، تاريخ المغرب والأندلس، ص235.

[2] مدينة صغيرة في المغرب الغربي من الجنوب العربي بينها وبين سجلماسة أربعة فراسخ يقول الإدريسي هي قرى متصلة وعمارات متقابلة ومزارع كثير. ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ص129 ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص451.

[3] العبر، ج7، ص45.

[4] ابن خلدون ، العبر ،ج7، ص45.

[5] العبر، ج7، ص42.

خزرون حاكماً لإمارة سجلماسة حتى وفاته فتولى الإمارة ابنه وانودين بن خزرون [1]، ولم تذكر المصادر التاريخية السنة التي تولى فيها وانودين الإمارة.

لم يستتب الحكم لوانودين إذ سمع المنصور بن أبي عامر بإمارة وانودين على سجلماسة فجهز جيشاً وسار به إلى مدينة سجلماسة في سنة (393هـ/1002م) وطرد وانودين منها، وفي طريق عودته مات المنصور بن أبي عامر فسمع وانودين بذلك فرجع إلى سجلماسة وأعاد الإمارة عليها، وإنّ مدة حكم وانودين لم تدم طويلاً بعد استقلاله بإمارة سجلماسة فقد توفي سنة (400هـ/1009م) وخلفه ابنه مسعود بحكم الإمارة [2].

ولي مسعود بن وانودين حكم سجلماسة وما تبعها بعد وفاة والده ، ولم تذكر المصادر السنة التي وليّ فيها مسعود الإمارة، وامتازت مدة حكمه بالاضطرابات على غرار أبيه إذ جهز المعز بن زيري جيشاً واتجه به إلى سجلماسة سنة(407هـ/1016م)، وتواجه الجيشان خلف أسوار المدينة وكانت الغلبة لمسعود وجيشه مما كان له دافعاً قوياً وطموحاً لملاحقته جيش المعز بن زيري وتحقق له ذلك باحتلاله مدينة مغروي [3].

اتبع جيش مسعود الطريق الرابط بين سجلماسة وفاس وهو طريق للقوافل التجارية التي تمر بين سجلماسة في الجنوب والجبل الكبير الذي يشكل نطاقاً حامياً لسجلماسة مروراً بوادي شعب الصفا وتادلا وقلعة مهدي إلى مغروي ثم باب الفواره بفاس[4]، وبناء

---

[1] ابن خلدون، العبر ، ج7، ص38.

[2] ابن خلدون، العبر ، ج7، ص38 .

[3] مؤلف مجهول، الاستبصار، ص192؛ ابن خلدون، العبر، ج7، ص46 ؛ المعموري، محمد عبدالله ، تاريخ المغرب والأندلس، ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع، (عمان، 2012م)، ص203.

[4] البكري، المغرب، ص103 ؛ مجهول، الاستبصار، ص193.

على ذلك تكون المدن الواقعة على هذا الطريق جميعها خضعت لحكم مسعود وانضمت إلى إمارة سجلماسة .

لم يكتفِ مسعود بهذا النصر وإنما وجه جيشه باتجاه وادي ملوية وسيطر على الطرق الموجودة على ضفتي الوادي وحصونها وولي عليها العديد من أهل بيته[1].

إن كل إمارة أو حكومة لابد ان يصيبها الضعف وهذا ما حدث لإمارة بني خزرون فبعد الانتصارات التي تحققت على أيديهم إلا ان الضعف قد بدأ ينخر بجسد هذه الإمارة نتيجة لضعف الولاة من أهل بيت مسعود وشيوع المنكرات والفسوق والملذات الدنيوية وفرض الرسوم المخزنية التي لا أساس شرعي لها[2]، مما أثار فقهاء سجلماسة وعلمائها إذ اتصلوا بالمرابطين مما جعلهم عوناً لإسقاط إمارة بني خزرون وإنهاء حكم مسعود [3].

إن مدة حكم مسعود بن وانودين قد شهدت تغيرات مهمة في بلاد المغرب الإسلامي منها:

1– انقراض الدولة الأموية في الأندلس، وقيام دولة ملوك الطوائف واستبداد حكام زناتة بالمغرب الأقصى وتصرفهم بالرعايا بموجب أغراضهم ونال أهل سجلماسة ودرعة من بني خزرون نصيبهم من ذلك[4].

---

[1] ابن خلدون، العبر، ج7، ص46 ؛ القلقشندي، أبو العباس أحمد، صبح الأعشى في صناعة الانشا، نشر مركز تحقيق التراث بدار الكتب، (القاهرة– 1920)،ج5، ص182.

[2] السلاوي، الاستقصا، ج1، ص13.

[3] عنان، محمد عبدالله، دولة الإسلام في الأندلس من الفتح حتى بداية عهد الناصر، ط3، مكتبة الخانجي، (القاهرة– 1960م)، ص124.

[4]عنان،، دولة الإسلام، ص102.

2– ظهور حركة المرابطين ودخولهم سجلماسة ودرعة وانهوا حكم المغراويين فيها وقتلهم مسعود بن وانودين[1].

بناءً على ما تقدم يمكن القول ان مدة حكم بني خزرون لسجلماسة كانت مرحلة اضطراب وحرب منذ تأسيسها وحتى إنهائها على يد المرابطين إذ أدى انصراف حكامها للوقوف ضد الهجمات من أعدائهم وتولية الولاة القاصرين كل هذا غيره جعل حكام سجلماسة من بني خزرون لا يستطيعون تقديم أي إضافة للمدينة المذكورة من الناحية العمرانية ولم تتحسن الحياة العامة في عهدهم بسبب الحروب المستمرة التي كان يخوضها أمراء هذه المملكة وعلى الجهات المختلفة.

---

[1] ابن خلدون، العبر، ج7، ص39 ؛ محمود، حسن أحمد ، قيام دولة المرابطين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1957، ص154.

المبحث الثاني

قيام إمارة زيري بن عطية المغراوي في مدينة فاس (378-462هـ/988-1070م)

شهد المغرب الإسلامي سنة (297هـ/909م) بزوغ نجم الدولة الفاطمية ومحاولتها التوسع باتجاه الغرب[1] وكان من نتائج هذا التوسع سقوط الدولة الرستمية في تاهرت وبروز مغراوة(296هـ/909م) قوة لا يستهان بها للوقوف بوجه الدولة الفاطمية إذ أبدى المغراويين بسالة في الدفاع عن موطنهم الامر الذي دفع عبدالله المهدي إلى ارسال جيشه بقيادة مصاله بن حبوس سنة (309هـ/921م) للقضاء على المغراويين وبعد معارك شديدة وقاسية استطاع المغراويين بقيادة محمد بن خزر الانتصار وقتل القائد الفاطمي مصاله بن حبوس[2]، مما اضطر عبدالله المهدي إلى إرسال ولده أبا القاسم لمحاربة المغراويين وكانت النتيجة انهزام المغراويين بقيادة محمد بن خزر[3].

هذه الأحداث أدت إلى اتصال الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر صاحب قرطبة بـ (المغراويين) وأرسل إليهم سفيره محمد بن عبدالله بن أبي عيسى طالب منهم قتال العبيدين في المغرب الأوسط وعدم السماح لهم بالتوسع باتجاه المغرب الأقصى والاقتراب من حدود الدولة الأموية في الأندلس[4] .

---

[1] الملزوزي، نظم السلوك في الأنبياء والملوك، ص68.
[2] ابن خلدون، العبر، ج7، ص31.
[3] ابن خلدون، العبر ، ج7، ص31.
[4] ابن خلدون، العبر،ج7، ص31 ؛ الفيلالي، العلاقات السياسية، ص140.

وبناءً على ذلك أعلن محمد بن خزر المغراوي ولائه للدولة الأموية واخذ بتوسيع مناطق نفوذه في المغرب الأوسط على حساب الدولة الفاطمية وأصبح والياً على المناطق التي فتحها بإقرار الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر[1].

وبعد وفاة محمد بن الخزر ولي ابنه الخير بن محمد على مغراوة واستمر ولائه للدولة الأموية واستمرت المعارك بينه وبين آل زيري الصنهاجيين ممثلي الدولة الفاطمية[2].

في أثناء ذلك عزم المعز لدين الله الفاطمي حدود سنة(361هـ/971م) على ترك المغرب والتوجه نحو مصر فوقع اختياره على بلكين بن زيري زعيم صنهاجة ليكون نائباً له لحكم بلاد المغرب[3]، وعليه أصبح المغرب الأوسط تحت سيطرة الصنهاجيين وتابع بلكين بن زيري سياسته العسكرية ضد المغراويين ودخل معهم في صراع مرير أدى إلى قتل محمد بن الخير زعيم مغراوة، وقتل زيري بن مناد الصنهاجي والد بلكين بمؤامرة بالقرب من نهر ملوية[4]، هذه الأحداث دفعت المعز لدين الله الفاطمي من إرسال جيش كبير لمساندة بلكين بن زيري إذ انزل بالمغراويين الهزائم وقتل العديد منهم بدوافع الكراهية وواعز الانتقام لمقتل أبيه[5].

كان من نتائج هذه المعارك أن اندفع المغراويين نحو المغرب الأقصى إذ استقروا بالتحديد بمدينة فاس ليعملوا على تأسيس إمارة قوية تحت ظل الخلافة الأموية.

---

[1] ابن خلدون، العبر، ج7، ص32.

[2] ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ص154.

[3] المقريزي، اتعاظ الحنفا، ص175.

[4] ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص54.

[5] ابن خلدون، العبر، ج7، ص33.

كان أبو البهار بن زيري بن مناد الصـــنهاجي قد خرج عن طاعة ابن اخيه منصـور بن بلكين بن زيري أمير افريقيا واسـتولى على تلمسـان ووهران ومناطق أخرى من المغرب الأوسط وخاطب المنصور بن أبي عامر صاحب قرطبة وبعث له وفداً يعلن فيه المبايعة للدولة الأموية في الأندلس وكان على رأس الوفد الذي بعثه أبي البهار إلى المنصور ابن أخيه أبا بكر حبوس بن زيري [1].

استقبل المنصـور سفارة أبي البهار وأقره على المناطق التي كان يسيطر عليها وبعث له بهدية وصـفها ابن خلدون[2] حينما قال: " **وأنفذ معه إلى ابن عمه أبي البهار بخمســماية قطعة من صـــنوف الثياب الغز والعبيد، وقيمة عشــرة آلاف درهم الآنية والحلي وبخمسـة وعشـرين ألف من الدنانير ودعاه إلى مصـاهرة زيري بن عطية على يدو بن يعلى، وقسـم بينهما عمل المغرب شـق الأبلمة حتى لقد اقتســما مدينة فاس عدوة بعدوة**" وبذلك حصــــل تنافس كبير بين زيري بن عطية وأبي البهار بن زيري للسيطرة على المغرب الأوسط وكان المنصـور بن أبي عامر يميل إلى جانب زيري بن عطية أكثر من قرينه أبي البهار الأمر الذي دفع الأخير إلى خلع طاعة الدولة الأموية وأعاد البيعة إلى الدولة الفاطمية [3].

لـم يقـف المنصـور بـن أبـي عـامر صـاحب الأنـدلس مكتـوف الأيـدي أمـام تحركـات أبــي البهـار لـذلك أصـدر أوامـره إلــى زيـري بـن عطيـة بقتـال أبــي البهـار فسـار إليـه زيـري بـن عطيـة فـي جيـوش عظيمـة مـن زناتـة لـم يسـتطع أبــي البهـار الصـمود بوجههـا لـذلك اضـطر إلــى الانسـحاب إلــى افريقيـة والالتحـاق بخدمـة ابـن

---

[1] ابن ابي زرع، الأنيس المطرب، ص103؛ ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ص155.

[2] العبر، ج7، ص37.

[3] ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص103؛ السلاوي، الاستقصا، ص210.

أخيه منصور بن بلكين بن زيري، فملك زيري بن عطية مدينة تلمسان وسائر أعمال المغرب من السوس الأقصى إلى الزاب [1]، وقد وصف ابن خلدون [2] الانتصارات الكبيرة التي حققها زيري بن عطية على أخصمه أبي البهار حينما قال: " **واستولى زيري على تلمسان وسائر أعمال أبي البهار وملك ما بين السوس الأقصى والزاب، فاتسع ملكه وانبسط سلطانه واشتدت شوكته، وكتب بالفتح إلى المنصور**".

استقبل المنصور بن أبي عامر خبر هزيمة أبي البهار بحفاوة كبيرة وأصدر أوامره بتجديد العهد لزيري بن عطية على كامل المناطق التي يسيطر عليها [3]، وبذلك أصبح زيري بن عطية الحاكم الأوحد لبلاد المغرب الأقصى وأجزاء واسعة من بلاد المغرب الأوسط وقام بإسكان قبيلته بأنحاء مدينة فاس وكان ذلك إيذاناً بقيام إمارة بني خزر في فاس سنة (381هـ/991م)[4].

لم تستمر حالة الوئام والصداقة مدة طويلة بين زيري بين عطية والمنصور بن أبي عامر، إذ سرعان ما دب الخلاف بين الطرفين على الرغم من الحفاوة الكبيرة التي استقبل بها زيري بن عطية المغراوي عند زيارته لمدينة قرطبة، فقد احتفل به المنصور احتفالاً كبيراً وأجزل له العطاء وجدد له العهد بحكم بلاد المغرب الإسلامي[5].

---

[1] ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص103؛ السلاوي، الاستقصا، ص211.

[2] العبر، ج7، ص38.

[3] ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ص157.

[4] ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص103؛ السلاوي، الاستقصا، ص211.

[5] ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ص157.

اختلفت الروايات التاريخية في ذكر سـبب الخلاف الذي حدث بين زيري بن عطية المغراوي والحاجب بن ابي عامر فابن عذاري [1] ذكر أن سـبب الخلاف بين الطرفين يعود إلى رفض زيري بن عطية استبداد المنصور بن أبي عامر بالسلطة دون الخليفة هشـام المؤيد : " **ثم أن زيري بن عطية المغراوي نكث على ابن أبي عامر بعد الحب الشديد، والوفاء الأكيد، وطعن على ابن أبي عامر سلبه لملك هشام، وامتعض لهشام المؤيد**" .

أما ابن أبي زرع [2] فقد ذكر ان سبب الخلاف هو استبداد زيري بن عطية بحكم المغرب دون المنصـور بن أبي عامر إذ قام زيري بإلغاء اسـم المنصـور من الخطبة والاستقلال بحكم المغرب ورفض لقب الوزير الذي منح له من قبل المنصور ويضيف ابن أبي زرع ان زيري لما وصـل إلى المغرب قال : " **الآن علمت انك لي واسـتقل ما وصل به المنصور، واستقبح اسم الوزارة التي سمّاها بها، ولقد خاطبه بها بعضهم، فنهاه عن ذلك، وقال: ويحك، وزير إلا والله إلا أمير بن أمير وعجباه لابن ابي عامر ومفرقته، لأن تسمع بالمعيدي خير من أن تراه، ولو كان بالأندلس رجل لما تركته**".

أمام هذه الأحداث لم يجد المنصـور من بد سـوى الإيعاز إلى مولاه واضـح الصـقلبي[3] بالتوجه إلى المغرب لقتال زيري بن عطية وإبعاد خطره عن المغرب، ولم

---

[1] البيان المغرب، ج1، ص252.

[2] الأنيس المطرب، ص114.

[3] هو مولى صالح لن منصور ويعرف بالمسكين ساعد الإمام إدريس بن عبدالله في الوصول إلى المغرب، وعاقبه الخليفة العباسـي هارون الرشـيد بقطع عنقه. ينظر: الطبري، تاريخ الرسـل والملوك،ج4، ص600 ؛ ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين يوسف الاتابكي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة العامة للتأليف والترجمة، (مصر– د.ت)، ج2، ص59.

يتأخر واضح في تلبية نداء الحاجب المنصور إذ تحرك بجيشه نحو مدينة طنجة وفي هذه المدينة انضمت إليه بعض قبائل البربر من غمارة وصنهاجة وغيرها وبايعوه على قتال زيري بن عطية ومن معه من قبائل زناتة [1].

وصلت أخبار وصول واضح بجيشه إلى طنجة إلى مسامع زيري بن عطية فخرج من مدينة فاس باتجاه طنجة لقتال جيوش الدولة الفاطمية فالتقى الطرفان بالقرب من المدينة المذكورة ودارت بينهما معارك كبيرة كان النصر بها حليف زيري بن عطية المغراوي [2].

وصلت أخبار هزيمة الجيش الأموي في مدينة طنجة إلى الحاجب المنصور بن أبي عامر، لذلك أرسل جيشاً كبيراً لقتال زيري بن عطية وأسند قيادة هذا الجيش لابنه المظفر الذي تحرك باتجاه مدينة طنجة ثم خرج عبد الملك من المدينة المذكورة باتجاه مدينة فاس وبصحبته المولى واضح فالتقى بجيش زيري في منطقة عرفت بوادي منى بالقرب من طنجة وبعد معارك كبيرة استطاع عبد الملك المظفر هزيمة زيري بن عطية، ودخول فاس في سنة (387هـ/997م) [3].

كتب عبد الملك المظفر أخبار انتصاراته إلى والده المنصور فقرأ الكتاب على منبر جامع الزهراء بقرطبة وعلى جميع المنابر بالأندلس واحتفل المنصور احتفالاً بهيجاً بهذا الانتصار [4].

---

[1] ابن عذاري، البيان، ج1، ص252.
[2] ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ص158.
[3] ابن خلدون، العبر، ج7، ص39؛ الدوري، ابراهيم ياس خضير، السياسة الداخلية والعلاقات والخارجية للأندلس في عهد المنصور بن ابي عامر، اطروحة دكتوراه غير منشورة، (القاهرة، 1987م)، ص118؛ بدر، احمد، تاريخ الاندلس في القرن الرابع الهجري،(دمشق، 1974م)، ص44.
[4] ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، 107.

أما بالنســـبة لزيري بن عطية فبعد هزيمته في مدينة فاس التجأ إلى الصـــحراء وحاول جمع فلول زناتة المنهزمة فانضـــمت إليه أعداد كبيرة من أبناء جلدته من مغراوة فزحف باتجاه المغرب الأوسـط وبالتحديد باتجاه مدينة تاهرت وتمكن من السـيطرة عليها ثم زحف بعد ذلك نحو تلمســان والمســيلة وغيرها من مدن المغرب الأوســط واســتطاع إخضــاعها، وفي هذه الأثناء حاول زيري بن عطية كســب ود المنصــور بن أبي عامر ليقره على المناطق التي يســـيطر عليها إلا أن المنية حالت دون ذلك فقد توفي في (391هـ/1000م)[1].

بعد وفاة زيري بن عطية تولى زعامة مغراوة الزناتية ابنه المعز بن زيري وقد جنح هذا الأمير إلى ســياســة الود والتحالف مع أمويي الأندلس لذلك تحســنت العلاقات بين الطرفين وأصـــبح المعز بن زيري يحكم المغرب الأقصـــى وأجزاء واســـعة من المغرب الأوسط بمباركة الخلافة الأموية في الأندلس [2].

لم يشــهد عهد المعز بن زيري صــراعات عسـكرية في بلاد المغرب الأقصــى إذ تفرغ هذا الأمير إلى الأعمار وإصـلاح أحوال الناس وهذا ما أكده ابن أبي زرع [3] حينما قال : " **ولم تزل بلاد المغرب أيام المعز في غاية الهدنة والعافية والرخاء والأمن إلى أن توفي** " .

تـولى حكـم فـاس بعـد وفـاة المعـز ابنــه حمامــة فــي سـنة (417هـ/1026م) الـذي شـهد عهـده تعـرض مدينــة فـاس إلــى هجـوم مـن قبـل الأميـر اليفرنـي تمـيم بـن

---

[1] ابن أبي زرع، الأنيس، ص107؛ السلاوي، الاستقصا، ص217.
[2] ابن خلدون، العبر، ج7، ص41.
[3] الأنيس المطرب، ص108.

زيري صاحب مدينة سلا واستطاع الأمير المذكور دخول مدينة فاس بعد معارك كبيرة مع جموع مغراوة بقيادة حمامة بن المعز، الذي هرب باتجاه المغرب الأوسط سنة (424هـ/1033م)[1]، تملك تميم اليفرني مدينة فاس لمدة سبعة أعوام إلى أن استطاع حمامة بن المعز من جمع جيوش كبيرة من مغراوة وإعادة الكرة من أجل السيطرة على مدينة فاس واستطاع من دخول المدينة سنة (429هـ/1037) وبقي يحكم المدينة المذكورة إلى أن توفي سنة (431هـ/1039م) [2] وقد اكد ذلك ابن خلدون[3] حينما قال : " **واستولى تميم وبنو يفرن على فاس وأعمال المغرب... ولحق حمامة بوجده فاحتشد من هنالك من قبائل مغراوة من انجاد مدينة مديونه وملويه، وزحف إلى فاس فدخلها سنة تسع وعشرين**".

تولى حكم المغرب بعد وفاة حمامة ابنه دوناس وشهد عهده حالة من الاستقرار السياسي والرخاء الاقتصادي الذي انعكس بشكل إيجابي على مدينة فاس فكثر فيها المساجد والفنادق والحمامات فصارت حاضرة المغرب وبذلك قال ابن الخطيب[4] : "**وولي دوناس مدينة فاس وأكثر أعمال المغرب بعد أبيه فكانت أيامه أيام هدنة ودعة ورخاء كثير، وفي ايامه عمرت فاس وقصدها التجار وبنيت بها الرباع والمساجد، وأدير على أرباضها السدود** ".

---

[1] ابن خلدون، العبر، ج7، ص42.
[2] ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ص162؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص87.
[3] العبر، ج7، ص42.
[4] أعمال الأعلام، ص161–162؛ الجبوري، عبد العباس إبراهيم، الحركة الفكرية في مدينة فاس في عهد الموحدين، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب،(جامعة بغداد، 1986م)، ص92.

توفي بعد ذلك دوناس سنة (451هـــ/1059م) وتولى الحكم من بعد ابنه الفتوح بن دوناس. وقد شـهد عهد الفتوح بن دوناس انقسـام مدينة فاس إلى قسـمين: فاس عدوة الأندلس التي حكمها الأمير المذكور، أما فاس عدوة القرويين فقد كانت تحت حكم اخيه عجيسـة مما أدى إلى حدوث القتال بين الطرفين بعد أن أعلن عجيسـة الثورة على أخيه الفتوح وبعد معارك كبيرة اســتطاع الفتوح التغلب على أخيه ودخل فاس عدوة القرويين فظفر بعجيســة وقتله وبذلك أصــبحت مدينة فاس موحدة تحت حكم الفتوح [1] وهذا ما أكده ابن الخطيب[2] حينما قال: "**ولما ولي الفتوح بن دوناس الأمر بعد أبيه ولى أخاه عجيسة عدوة الغرويين فثار عليه بها، ودامت الحرب بينهما ثلاث سنين متصلة إلى أن تغلب الفتوح على عدوة القرويين ليلاً وملك العدوتين وظفر بأخيه فقلته واســتمرت أيام الفتوح إلى سنة سبع وخمسين واربعمائة فظهر أمر لمتونة وضيقوا عليه بالقتال، تخلى عن الأمر إلى ابن عمه معنصر**".

ذكرنـا فيمـا مر آنفاً تخلي الفتوح بن دونـاس زعيم مغراوة عن الحكم لابن عمـه معنصر بن حماد في سنة (454هــ/1062م) وكان معنصر ذا حزم ورأي وتدبير وكان عليه مواجهة الخطر المرابطي الذي كان يهدد مدينة فاس وبالفعل دخل معنصــــر في صــراع كبير مع يوســف بن تاشــفين زعيم الدولة المرابطية إلا أن كفة الصــراع لم تكن متوازنة بين الطرفين بسبب قوة الجيش المرابطي الأمر الذي أدى إلى سقوط مدينة فاس بيد المرابطين سنة (455هـ/1063م) بعد دخول يوسف بن تاشفين مدينة فاس في السنة المذكورة[3] ترك المدينة بعد أن عين عليها عاملاً من قبله وتوجه للســـيطرة على بقية

---

[1] ابن خلدون، العبر، ج7، ص43.

[2] اعمال الاعلام، ص162.

[3] ابن ابي زرع، الأنيس المطرب، ص112–113؛ السلاوي، الاستقصا، ص223–224.

مناطق المغرب لذلك استغل معنصر الفرصة وهاجم مدينة فاس بغياب يوسف ين تاشفين فدخل المدينة وقتل العامل المرابطي ومن معهم من لمتونة ومثل بهم بالحرق والصلب، زحف بعد ذلك معنصر إلى مهدي بن يوسف الكزنائي صاحب مدينة مكناسة الذي دخل في دعوة المرابطين فهزمه وسيطر على مدينة مكناس [1].

وصلت أخبار انتصارات معنصر في مدينة فاس إلى مسامع الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين فارسل جيشاً كبيراً لحصار مدينة فاس وحدثت معارك كبيرة بين الطرفين قتل فيها معنصر المغراوي وكان ذلك في سنة (460هـ/1067م) [2].

وبمقتل معنصر تولى حكم مدينة فاس ابنه تميم الذي كانت أيامه ايام حصار وفتنة وجهد وغلاء [3] ومما زاد الأمر سوءاً هو عودة يوسف بن تاشفين إلى محاصرة المدينة مرة أخرى سنة (462هـ/1069م) مما زاد من معاناة الأهالي حتى اضطروا إلى التسليم في العام المذكور فدخلها يوسف بن تاشفين وقتل بها زهاء (3000) من زناتة بما فيهم زعيمهم تميم بن معنصر [4].

---

[1] ابن ابي زرع، الأنيس المطرب، ص113؛ السلاوي، الاستقصا، ص224.

[2] ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص163.

[3] ابن خلدون، العبر، ح7، ص44.

[4] عبد الواحد المراكشي، محيي الدين بن علي التميمي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان، محمد العربي العلمي، مطبعة الاستقامة، (القاهرة– 1947)، ص184؛ مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص28؛ ابن القاضي المكناسي، أبو العباس أحمد بن محمد، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الاعلام في مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، (الرباط– 1979)، ص546.

وبذلك أسدل الستار على حكم بنو خزر المغراويين لمدينة فاس الذي استمر من النصف الثاني من القرن الرابع الهجري وحتى قيام دولة المرابطين.

المبحث الثالث

قيام إمارة بني يفرن في مدينة سلا

(375-462هـ/985-1070م)

بعد انتقال بنو يفرن كما ذكرنا آنفاً إلى المغرب الأقصى أسند بنو يفرن رئاستهم للأمير حمامة بن زيري بن يعلى، وفي عهده اضطر بنو يفرن إلى الانسحاب غرباً حتى وصلوا إلى ناحية شالة [1] فاستولوا عليها مع الأقسام المتبقية من إقليم تادلا الذي كان خاضعاً لحكم زيري بن عطية المغراوي واتخذ اليفرنيون من مدينة سلا عاصمة لهم فاعتنوا بها وأقاموا عليها منشآتهم.

وبناءً على ما تقدم استمرت حالة العداء بين بني يفرن ومغراوة وبقيت قائمة إذ لجأ الأمير حمامة بن زيري اليفرني إلى أفريقية ملتمساً التأييد لبني زيري وبني حماد الصنهاجيين على الرغم من أن الزيريين كانوا في صراع متواصل مع زيري بن عطية المغراوي الذي يعد أقوى زعماء زناتة.

[1] مدينة أثرية قديمة بالقرب من مدينة رباط الفتح يفصلها عن مدينة سلا وادي بورقراق وقيل ان كلمة شالة كلمة بربرية قديمة معناها (كثير) وقد استولى عليها البرغواطيين في العصر الإسلامي. ثم انتزعها منهم المولى إدريس الأول وظلت تابعة للأدارسة حتى استولى عليها موسى بن أبي العافية المكناسي ثم انتزعها زيري بن عطية المغراوي وأخيراً استولى عليها بنو يفرن وذلك في مطلع القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي. ينظر: ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص84 ؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص134.

ويشير ابن خلدون [1] إلى أن الأمير حمامة بن زيري اليفرني بعث بهدية إلى مناد باديس بن المنصور حاكم افريقية في أثناء حصار هذا الأخير لعمه حماد بن يوسف بن بلكين بن زيري بالقلعة عام (406هـ/1015م) صحبة أخيه زاوي بن زيري بن يعلى، فاستقبله أبو مناد استقبالاً حافلاً مقيماً له حفلة امتازت بقرع الطبول والبنود [2].

وعلى أية حال لم تحدد لنا المصادر التاريخية المدة التي قضاها حمامة بن زيري أميراً على بني يفرن، كما لم تحدد تأريخاً لوفاته واكتفت تلك المصادر بالقول بأن آخاه الأمير أبا الكمال تميم هو الذي خلفه أميراً على بني يفرن [3].

إن المتتبع لنسب بنو يفرن يجدهم من زناتة وبالتالي تربطهم رابطة قوية مع بنو خزر المغراويين إلا أن السلطة وطموحها ولدت الخلاف بينهم، إذ تشير المصادر إلى أن يفرن وهو الأخ الأكبر لمغراوة وإليهما تعود الزعامة في المغرب الأوسط منذ عهد الخليفة عثمان بن عفان وحتى قيام الدولة الفاطمية في المغرب بحدود سنة (298هـ/910م)[4] ومحاولتهما التوسع على حساب ممتلكات زناتة في المغرب الأوسط إذ دخل بنو يفرن ومغراوة في صراع مرير مع الدولة الفاطمية للحيلولة دون سيطرتها على المغرب الأوسط، وتزعم بنو يفرن في هذا الصراع أميرهم يعلى بن محمد اليفرني إذ عقد اتفاقاً مع الدولة الأموية في الأندلس في عهد عبد الرحمن الناصر من أجل الوقوف بوجه الخطر الذي تشكله الدولة الفاطمية وحقق الاتفاق القوة ليعلى إذ استطاع الاستيلاء

---

[1] العبر، ج7، ص21.

[2] ابن عذارى ، البيان المغرب، ج1، ص247.

[3] ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ص165.

[4] المقريزي، اتعاظ الحنفا، ص147.

على مدينة وهران وتاهرت وبدأ يلقي الخطب على منابرها باســـم الخليفة عبد الرحمن الناصر [1].

إن هذا الولاء لم يســتمر طويلاً بســبب الخلاف بين يدو بن يعلى وزعيم مغراوة زيري بن عطية على زعامة زناتة ووقوف الأمويين في الأندلس إلى جانب زيري الأمر الذي أثار حفيظة يدو بن يعلى إذ أخذ يتحين الفرص لخلع طاعة الأمويين وتحقق له ذلك في حدود سنة (375هـــ/985م) عند إعلان الحسن بن كنون الإدريسي الثورة على الدولة الأموية وانضمام يدو بن يعلى إلى جانبه [2].

اســـتمر يدو بن يعلى بمقاتلة الأمويين ودخل مدينة فاس أكثر من مرة ، الأمر الذي دفع المنصـــور بن أبي عامر صـــاحب الأندلس إلى مخاطبة واليه على المغرب الأقصـى الوزير الحســن بن عبد الودود إلى التحالف مع زيري بن عطية للقضــاء على بدوي بن يعلى الذي عاد متمرداً على السلطة إلا أن جهود المنصور بالقضاء على يدو قد باءت بالفشـــل إذ اســـتطاع يدو من هزيمة الأمويين بالقرب من فاس ســـنة (378هـ/988م) وقتل نائب المنصور على المغرب بن الحسن بن عبد الودود [3].

إزاء هذه الأحداث اســتدعى المنصــور بن عامر زيري بن عطية إلى قرطبة في السنة نفسها التي قتل فيها الحسن بن عبد الودود وعقد له الولاية على المغرب الأقصـى وأوكل له مقاتلة بنو يفرن [4].

---

[1] ابن خلدون، العبر ، ج7، ص21.
[2] ابن خلدون، العبر ، ج7، ص25.
[3] المصدر نفسه، ج7، ص25.
[4] الفيلالي، العلاقات السياسية، ص233؛ مكي، محمود علي، التشيع في الاندلس، صحيفة المعهد المصري للدراسات الاسلامية، العدد، (1–2)، (مدريد، 1954م)، ص104.

لقد أشـــرنا ســـابقاً إلى أن يدو بن يعلى هاجم مدينة فاس وقتله الحســـن بن عبد الودود إذ دخلها بالقوة بعد أن قتل أعداداً كبيرة من المغراويين مســـــتغلاً غياب زيري بن عطية عن المدينة بسبب انشغاله بالقضاء على تمرد خلوف بن أبي بكر والي تاهرت[1].

وصلت أخبار سيطرة يدو على مدينة فاس إلى زيري بن عطية إذ سارع بالتوجه إلى المدينة المذكورة لإخراج يدو منها وبالقرب من المدينة حدثت معركة دامية بين الطرفين انتصر فيها زيري بن عطية وقتل زعيم بني يفرن يدو بن يعلى وبعث برأسه إلى المنصور بن أبي عامر بصحبة كتاب الفتح [2].

بعد هذه الأحداث اجتمع بنو يفرن في مدينة ســـــلا واختاروا حمامة بن زيري بن يعلى لزعامة بني يفرن إذ أســـس الأخير إمارة بني يفرن في ســـلا إذ قضـــى حكمه في تثبيت كيان دولته الســـياســـي عن طريق عقد تحالف مع الدولة الفاطمية وانصـــرف عن مقاتلة المغراويين واقتناعه بما لديه من أملاك إلى أن توفي وتولى الحكم من بعده أخوه أبو الكمال تميم بن زيري[3].

أشاد المؤرخون بالأمير تميم وذكروا أنه كان مستقيماً في دينه مولعاً بالجهاد كما يذكر ابن خلدون[4] لاسيما جهاد إمارة الكفر برغواطة، إذ يذكر ابن خلدون ان كان يغزو هذه الإمارة مرتين في السنة[5].

---

(1) ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص164.

(2) ابن أبي زرع، الأنيس ، ص104 ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص165.

(3) ابن خلدون، العبر، ج7، ص26.

(4) العبر، ج7، ص26.

(5) ابن خلدون، العبر، ج7، ص21 ؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص69.

إن قيام إمارة بني يفرن في ســـلا ومجاورتهم قبيلة برغواطة المارقة واســـتيلاء البرغواطيين على منطقة تامسنا فرض على بني يفرن الحرب والجهاد، فمن المعروف ان البرغواطيين كانوا قد اتخذوا من مدينة شالة عاصمة لهم قبل أن تخضع لحكم المغراويين وبعد ذلك اليفرنيين[1]، كذلك نجد أن أمراء برغواطة قد امتد نفوذهم إلى شـــمال مدينة الرباط الحالية واســـتيلائهم على مدينة المعمورة (المهدية حالياً) [2] من أيدي بنو يفرن حكام سلا وانهم خربوها فيما خربوه من المدن [3].

لـــذلك شـــدد اليفرنيـــون هجـــومهم علـــى البرغـــواطيين إذ كـــان ربـــاط مدينـــة ســـلا مركـــزاً لتجمـــع المجاهـــدين مـــن بنـــي يفـــرن وغيـــرهم فيخرجـــون لقتال هراطقة برغواطة.

ومن المعلوم أن هذا الرباط (رباط ســـلا) كان مقاماً قبل قدوم اليفرنيين إلى هذه المنطقة إذ وصفه الرحالة الجغرافي ابن حوقل[4] النصيبي(ت380هـــ/990م) بقوله : "**وبســـله (ســـلا) رباط يرابط فيه المســـلمون، وعليه المدينة الأزلية المعروفة بســـلى**

---

[1] ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص184.

[2] مدينة تقع في المغرب الأقصـــى، كانت تعرف قديماً بحلق الوادي أو المعمورة وســـميت بالمهدية أيام المولى إسماعيل عام (1102هـ/1681م) عندما ضيق على الجيش الاسباني المرابط فيها فخرج إليه قائد الجيش مســـتســـلماً وبيده مفاتيح المدينة كهدية للســـلطان فأمنه وقبل هديته ثم دخل المدينة وسماها المهدية والمدينة تقع على ساحل المحيط عند مصب وادي سبو بالمغرب من القنيطرة، ومن الجدير بالإشـــارة إلى أنها غير المدينة التي أنشـــأها الخليفة المهدي عبيد الله الفاطمي في تونس، راجع: البكري، المغرب، ص148 ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص45 ؛ العبادي، تاريخ المغرب والأندلس، ج4، ص307.

[3] العبادي، مختار، تاريخ المغرب والأندلس،ج4، ص307؛ الراشـــد، عبد الجليل، علاقات حول الطوائف في الاندلس بالمرابطين، اطروحة دكتوراه غير منشورة، (القاهرة، 1972م)، ص174.

[4] صورة الأرض، ص82.

القديمة وقد خربت، والناس يســـكنون ويرابطون برباطات تحف بها، وربما اجتمع في هذا المكان من المرابطين مائة ألف إنسان يزيدون في وقت وينقصون لوقت، ورباطهم برغواطة قبيلة من قبائل البربر على البحر المحيط".

إن هذه القبيلة المارقة لم تســـلم من جهاد الدول الإســـلامية المتعاقبة قي بلاد المغرب فقد غزاها الأدارســـة والفاطميون والمنصـــور محمد بن أبي عامر لكن بني يفرن كانوا أشـد وطأة على برغواطة من أي قوة أخرى [(1)]، ويذكر ابن خلدون[(2)] أن أبا الكمال تميم اليفرني هادن المغراويين وســـالمهم ليتفرغ لقتال برغواطة إذ كان يعد حربهم جهاداً في سبيل الله ويسوق ابن أبي زرع [(3)] رواية تدل على ولع الأمير أبا الكمال تميم بجهاد هذه القبيلة المارقة فيقول ان الأمير تميم ظل يقاتل برغواطة مرتين كل عام حتى وفاته سنة (462هـ/1069) وان بني يفرن لما قرروا دفن ولده الذي قتل في السنة نفسها أثناء صراعه مع البرغواطيين بجانب قبر أبيه سمعوا من داخل قبر والده تكبيراً عظيماً وتشهداً فنبشـوا القبر فوجدوه سـليماً لم يتغير منه شـيء فرآه بعض قرابته في النوم في تلك الليلة فقال له : " **ما ذلك التكبير والتسـبيح والتشـهد الذي سـمعناه من قبرك ؟ فرد أبو كمال تميم بأن هؤلاء ملائكة وكلهم الله تعالى بقبره يكبرون ويهللون ويســـبحون وأن أجر ذلك له إلى يوم القيامة ولما سـأله الرجل عن السـر في ذلك قال : بجهادي الكفرة من**

---

(1) ســالم، ســحر ، من جديد حول برغواطة هراطقة المغرب في العصــر الاســلامي، بحث ألقى في مؤتمر الحركات الهدامة، ص 84.

(2) العبر، ج7، ص21.

(3) الأنيس المطرب، ص 68.

برغواطة وفعلي فيهم في كل سـنة" [1]، وعلى الرغم من الطابع القصـصـي لهذه الرواية إلا انها توضح المكانة العالية التي تمتع بها الأمير تميم اليفرني عند أهل المغرب.

إن المتتبع للحرب التي خاضها أبو الكمال تميم اليفرني ضد برغواطة يجد أن أبا الكمال حاربهم بعد سنة (420هـــ/1029م) فغلبهم واحتل بلادهم وسباهم وجلا من بقي منهم واستوطن ديارهم وانقطع أمرهم وعفا آثارهم ولم يبق لضـلالتهم باقية ولا من أواصر كفرهم أصره [2].

لم تقتصــر أعمال الأمير تميم على جهاد برواغوطة بل انه عاود قتال المغراويين عقب الهدنة التي عقدها معهم، إلا أنها لم تستمر طويلاً ففي سنة (424هــــ/1032م) زحف الأمير تميم مع جموع اليفرنيين وهاجم مدينة فاس وتمكن من اقتحامها والاسـتيلاء عليها واضــــطر الأمير حمامة المغراوي إلى الفرار إلى مدينـة وجده ومنها رحل إلى تلمســـان وقد أقدم الأمير تميم عقب دخوله مدينة فاس على قتل عدد كبير من اليهود قدرت المصادر عددهم بما يزيد على ستة آلاف ونهب أموالهم وسبي نساءهم [3].

لم تســتمر ســيطرة الأمير تميم على مدينة فاس مدة طويلة فبعد خمس ســنوات حيث تمكن حمامة بن المعز المغراوي من حشـــد أعداد غفيرة من قبائل زناتة ومغراوة وهاجم مدينة فاس سنة (429هـــ/1037م)، وتمكن من احتلالها وفر الأمير تميم وعاد بجيشــه إلى عاصــمته ســلا [4]، واســتمر تميم أميراً على بني يفرن حتى توفي ســنة

---

[1] ابن ابي زرع، الأنيس المطرب، ص69.
[2] البكري، المغرب ، ص14.
[3] ابن أبي زرع، الأنيس، ص69؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص165.
[4] ابن خلدون، العبر،ج7، ص22.

(446هـ/1054م) وفقاً لرواية ابن خلدون [1] في حين يذكر ابن أبي زرع [2] وابن الخطيب [3] انه توفي عام (448هـ/1056م).

على أية حال فقد أثنى المؤرخون على الأمير تميم بسبب جهاده المتواصل لقبيلة برغواطة وكما عرف عنه إيثاره للعدل وتطبيقه للشريعة وإقامة الحدود حتى على أقرب الناس إليه إذ يروى أنه قتل أحد أبنائه لاغتصابه جارية من التجار بوادي سلا[4].

بعد وفاة تميم خلفه ابنه حماد لكنه لم يستمر بالإمارة أكثر من ثلاث سنوات إذ توفي سنة (449هـ/1057م) فخلفه ابنه يوسف وفي عهده بدأ الاحتكاك الحربي بين المرابطين وبني يفرن واستطاع المرابطين من إنزال الهزيمة بالقبيلتين مغراوة وبني يفرن وفي أثناء ذلك توفي الأمير يوسف بن حماد اليفرني سنة (458هـ/1065م) وخلفه عمه محمد بن تميم الذي اضطر أمام قوة المرابطين إلى ترك عاصمته سلا ورحل هو وبني يفرن إلى مدينة فاس محتمياً بالمغراويين وقد يبدو هذا غريباً نظراً للعداء ما بين المغراويين وبني يفرن، إلا أن الخطر الذي تعرض له بني يفرن دفع أميرهم إلى الاتحاد مع المغراويين لمواجهة عدوهم المشترك إلا أن الهزيمة قد حلت بهم وقتل أكثر من ثلاثة آلاف من اليفرنيين والمغراويين زيادة على مصرع الأمير محمد

---

(1) المصدر نفسه، ج7، ص22.
(2) الأنيس المطرب، ص69.
(3) أعمال الأعلام، ص165.
(4) البكري، المغرب، ص141.

بن تميم اليفرني ودخل المرابطون مدينة فاس عام(462هـ/1069م) وبذلك تم القضاء على دولة بني يفرن في المغرب الأقصى [1] أما ما بقي منهم فقد تفرق في البلاد وسكن قسم كبير منهم بتلسمان[2].

وخلاصة القول أن أيام بني يفرن لم تكن كلها حرباً وقتالاً وإنما نعم المغرب فيها رغم ما صاحبها من اضطرابات بمدد هدوء واستقرار، انصرف الأمراء للبناء والتشييد والأعمار إذ أنشأ الأمير يعلى مدينة أفكان وأقام عمه أحمد بن أبي بكر والي فاس ببناء صومعة جامعة الغرويين سنة(344هـ/955م) وكثر الاتصال ما بين المغرب والأندلس واختلطت قبائل المغرب الأقصى بالمغرب الأوسط وعلى يد اليفرنيين ضعفت قبيلة برغواطة ولكن في أواخر أيامهم فسدت الحالة لما جاروا على الرعية وأخذوا الأموال وسفكوا الدماء بغير حق فانقطعت الموارد وكثر الخوف كل هذه الأسباب فضلاً عن الحرب مع المرابطين أدى إلى زوال الحكم [3] .

---

[1] ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص91؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص165 ؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص185.

[2] السلاوي، الاستقصا، ج2، ص29.

[3] السلاوي، الاستقصا، ج2، ص29.

نحمد الله على توفيقه في إكمال البحث الذي تناول قبيلة زناتة ودورها السياسي الذي مارسته في المغرب طوال مدة تواجدها في تلك المنطقة، وفي نهايته لابد من الإشارة إلى عدد من النتائج التي توصل إليها الباحث وهي كالآتي:

1- قاومت قبيلة زناتة الوجود العربية الإسلامي في المغرب هذه القبيلة قد اعتادت على الحياة البدوية القائمة على الحرية وعدم الخضوع للسلطة المركزية. ومما زاد من مقاومتها للوجود الإسلامي في هذه المنطقة هو الأساليب التعسفية التي كان ينتهجها قادة المغرب في التعامل مع السكان المحليين وذلك خلال فرض الضرائب والاتاوات الغير شرعية التي أثقلت كاهل الناس.

2- وجدت أفكار الخوارج صداها لدى قبيلة زناتة لاسيما تلك الأفكار التي تنادي بعدم وجوب أن يكون خليفة الدولة الإسلامي قرشياً وإنما الشخص الأصلح هو الذي يتولى الخلافة ولو كان عبداً حبشياً، وبذلك انسجمت أفكار الخوارج مع النزعة الاستقلالية لدى القبائل الزناتية التي سارعت إلى تبني أفكار الخوارج بمختلف أصنافها من صفري واباضية.

3- قاومت قبيلة زناتة الوجود الفاطمي في المغرب العربي، لأنها كانت تدرك أن سيطرة الفاطميين على المغرب سوف يقلص نفوذها في تلك المنطقة، فضلاً عن الخلاف الفكري بين الزناتيين والفاطميين، فالزناتيين بحكم اعتناقهم لمذهب الخوارج كانوا من أشد اعداء الفاطميين للعداء المتأصل بين الطرفين والذي يعود في جذوره إلى حقبة صدر الإسلام وموقف الخوارج من الإمام علي (υ).

4- ان اصطناع الفاطميين لقبائل صنهاجة المغربية كحلفاء لها في المغرب دفع قبيلة زناتة إلى التحالف مع الدولة الأموية في الأندلس للوقوف بوجه التحالف

الفاطمي الصنهاجي لاسيما إذا ما علمت أن هناك عداء تقليدي بين زناتة وصنهاجة يعود إلى عهد ما قبل الإسلام، وبذلك أصبح المغرب الإسلامي ساحة للصراع الأموي الفاطمي وانقسم سكان المنطقة إلى اتجاهين، الاتجاه الأول يتمثل بقبيلة صنهاجة التي أعلنت ولائها المطلق للفاطميين، أما الاتجاه الثاني فقد كانت تمثله قبيلة زناتة التي أصبحت موالية للدولة الأموية.

5- استطاع الزناتيون أن يقيموا إمارات مستقلة خاص بهم في المغرب الأقصى بعد أن فقدوا نفوذهم في المغرب الأوسط وابرز هذه الإمارات هي إمارة مغراوة في فاس وإمارة بنو خزرون في سجلماسة وإمارة بني يفرن في سلا.

6- على الرغم من الطابع البدوي الذي تميزت به قبيلة زناتة في المغرب العربي إلا أن مرة حكمهم في المغرب الأقصى شهدت ومضات حضارية غير مسبوقة لاسيما في مدينة فاس إذ تشير المصادر إلى أن زعيم الإمارة المغراوية زيري بن عطية قام بزراعة حدائق الزيتون في المدينة المذكورة واطلق عليها رياض القرطاس وهذا اللقب وصف به الأمير زيري بن عطية إذ سمته بعض المصادر بهذا الاسم، فضلاً عن قيام زيري بن عطية ببناء مدينة وجدة وتوسيع جامع القرويين.

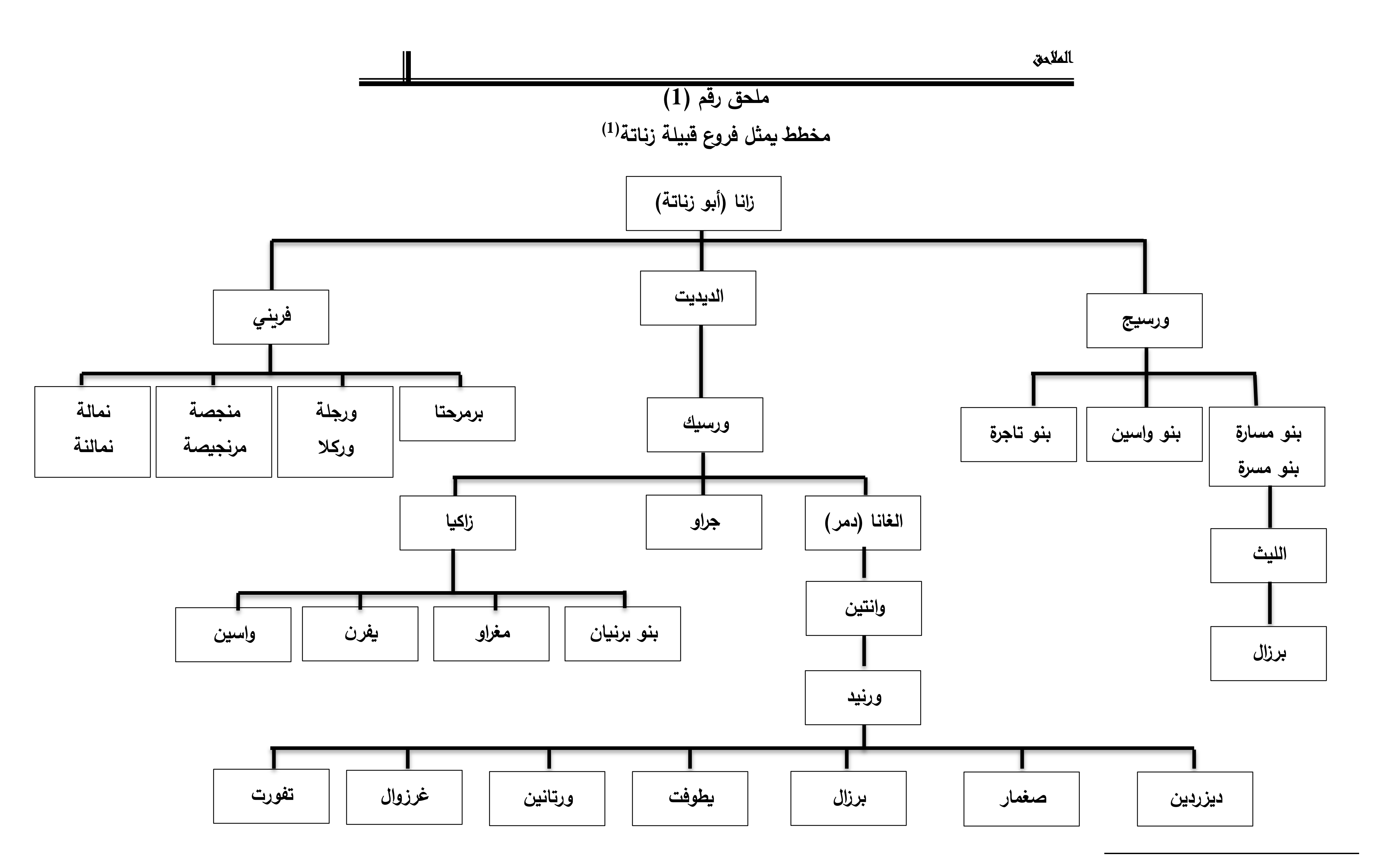
7- شهدت العلاقات الزناتية الأموية نوع من الفتور والقطيعة لاسيما في عهد الحاجب المنصور بن عطية المغراوي حاكم فاس على أثر تقليد المنصور لزيري منصب الوزارة بينما طلب الأخير أن يكون أميراً على المغرب الأقصى، وتطور الموقف بين الطرفين إلى حد الصدام المسلح.

8- فشلت قبيلة زناتة بجميع فروعها في المغرب الإسلامي بتوحيد جهودها في إقامة كيان سـياسـي خاص بها على غرار الصـنهاجيين في المغرب الأدنى، وكان القتال هو السـمة البارزة التي غلفت العلاقة بين أبنائها مما جعلها صـيداً سـهلاً لكل من الفاطميين في مصر والأمويين في الأندلس.

9- لعبت قبيلة زناتة دوراً كبيراً في نشـر الإسـلام في المغرب وأخذت على عاتقها مقاومة الأفكار الضـالة في البلاد المذكورة لاسـيما محاربة إمارة الكفر برغواطة، إذ ابلى حكام بنو يفرن في مدينة سـلا بدءاً حسـناً للوقوف بوجه الأفكار الهدامة التي تبناها صالح بن طريف البرغواطي والتي كانت ترمي إلى تقويض الإسلام، وتشير المصادر إلى ان بنو يفرن كانوا يغزون إمارة برغواطة مرتين في السنة.

ملحق رقم (1)

مخطط يمثل فروع قبيلة زناتة[1]



(1) ابن حيان، المقتبس، تحقيق شالميتا، ص285.

ملحق رقم (2)

كتاب محمد بن خزر أمير زنانة إلى الناصـــر لدين الله يتضـــمن بيعته وأحقيته بالخلافة [1]

والله يا أمير المؤمنين، ما أعلم على وجه الأرض أحدا، أعرف بما أوجب الله لك مني، لأني ما قمت بدعوتك، إلا تقربا إلى الله تعالى، وتوصـــيلا إلى قتال كفار المشـــارقة، فقد يعلم الله تعالى أني لم أتعرض المشـــارقة أهلكم الله على يدك ما تعرضـــوني، كما أني كففت زمانا عنهم، قبل اســـتحكام البصـــيرة فيك، وكفوا عني ورضـوا بذلك مني، حتى رأيت أمرهم، قد عم الناس من شـره، وقد حاولوا أن يسـلطوا نور الإسـلام، بما كادوا به أهله، فأسـخرت الله في جهادهم وقمت أدعوا إلى ربي في جوف الليل في التوفيق والتسديد، وأن نحيرني وللمسلمين في مناهضـهم ولكشف عنا من غيهم وفكرت في أمام إعتاق حلـه، وأكون على بينـة من أمري في الدعاء إليه، وقد تشبث في حبال المسودة من بني العباس، واستدعاني أخي المقيم عنده بمصر، وأتتني كتب "تكين" التركي صـــاحبهم بمصـــر في أول الأمر، واســـتجلاني نحويه، فعصـــمني الله من ذلك، بإتباع الحق، وأخذ برأي الناصـــح المرشـــد، وإخفاقي إلى ما أوضـــح من الأمر حتى علمت بأمر أمير المؤمنين أنك أحق الناس بالخلافة إنها بيدك ميراث، لا ينازعك فيها إلا من دفع الحق وعصـى الله ورسـوله، فطرحت الهوادة وآثرت الحق، وهربت بنفسـي إلى أمير المؤمنين بنية صـادقة، وبصـيرة نافذة، وبريت من الناس منه، ودفعت الإمامة إلا هو، ورجوت أن ينصـــرني الله تعالى، وعلى يديه وأن بنصـر في أمري وأمر المسلمين، من أهل أفرقيه المضـطهدين، والنظر المأمول، حتى يكشـف الله تعالى عنهم، ما هم فيه من البلاد والردة، وأن يصـرف الله معشـر زناتة بهذه الدعوة الحق المنصـــورة، حتى يرفعنا على جميع الناس بها، فنكون أولياء

[1] ابن حيان، المقتبس، تحقيق شالميتا، ص265-269.

دعوتك، وأنصـــار دولتك، فإنك يا أمير المؤمنين، مولى كل بربري على الأرض، إذ بني أميه هداهم للإسـلام وعسـالكم منى (إلى لدخلتهم) فيه وأخرتهم من المحسـوبية، بإذن ربهم، فمن كفر منهم هذه النعمة، فهو كافر بالله ورسوله مولها ثم لا يقبل الله له صـــرفا ولا عدلا، ما حابيناك يا أمير المؤمنين بالإقرار لك، إذ وجدتم الحق في يدك والإجماع من الناس، على إنك أولى بالخلافة، ومن ينتحل اسمها معك، كذلك يتمسك كل من تقدم إلينا من المشرق من نواحي إفريقية.

فكلهم يشـــكر فعلي بأن الحق معي، وفيه آخذ رأي من نصـــحي، وبالحق عرفني، وعليه حظين حتى "تكين" صاحب مصر فقد رضيه وسره وما ساءه، فالحمد الله على هذه النعمة، ، الذي جعلني من أهلها ووفقني بقبولها".

ملحق رقم (3)

رســـــالـة من زعيم زنـاتـة محمـد بن خزر، إلى الخليفـة النـاصـــر لـدين الله سنة320هـــ/932م، يخبره فيها بتغيير مقر إقامته إلى الساحل، حتى يقترب من الشـــواطئ الأندلســـية، ليســـهل عليه تلقي الإمدادات والمســـاعدات العســـكرية والاقتصـــادية العاجلة، وتتضـــمن أيضـــاً أعماله الحربية ضـــد الفواطم، وأنصـــارهم، واحياش أخيه فلفل إلى طاعة المهدي الفاطمي[1]:

"فإن كتابي أبقى الله أمير المؤمنين، من بلد الساحل من مدينة "سيفا" المشهورة بمدينة العلويين، وهي مدينة حصـــينة أولية متوســـطة للمراســـي، التي تقابل مراســـي الأندلس، وهي منتظمة بها وقريبة منها بغربي "تاهرت"، دار الفاســـقين وقريبة منها، بينها وبينها ثلاثة أيام بينها وبين المراسـي أقل من يوم، وإنما ذلك بعد انتقالي من بلد والقوة بالأهل والولد، والأصـــحاب والحشـــم، والعبيد والموالى وأهل ولايتنا وصـــنوف رعيتنا، وضروب أهل طاعتنا، والخاصة والعامة لدينا، انتقلنا إليها وجماعة من قبلنا، ولم يجد لنا له بعدنا أحداً من مذكور، أنصـارنا وجماعة فراسننا ووجوه عشيرتنا، فهم معنا وبين أيدينا، لم ينحل لنا نظام، ولا دخلتنا فرقة، يل جميعا مســـتعدون بدعوتك، ومعتصـمون بطاعتك، ناصـحون لك، محبون لأيامك، ودولتك المباركة التي تمسـك بها، كان له الأمن والسـلامة، في دنياه وآخره، ومن صـد عنها، ابتغى سـبيل غيرها، نزل من الذل والصغار، وقاربه الخزي والهوان، والذي أردت علمه، أبقاك الله من خبر خرجونا عن البلد، الذي كنا نحله، وســـبب انتقالنا عنه، فإنه لم يخرجنا عنه خصاصة، ولا عجبتنا مدلة، ولا تخوف ولا خزية، ولا تغير حال ولا شدة، وإنما خرجنا عنه بفضل الله، أحببنا الدنو منك، والتهنم لك، لما نحن عليه من الحسن الطوية لك، وذلك أنا كنا على أفقك قبل اليوم، نازحين وعن موصلتك شاحطين، لا سواك والتنبئ

[1] ابن حيان، المقتبس ، تحقيق شالميتا، ص300-305.

بيننا على شحط الدار، بعد الشقة، مما لا يقصر يدي الهمة بيننا، على شحط الدار، مما لا يقصـر يدي الهمة، حز الرومي بهمته لا يردد العزيمة عن إنقاذ عزيمته، ولابد لقدر الله تعالى من نفاذه، ولعزائم قضيته من تمام، وذلك أنا فطرنا أعزك الله بطاعته، وفي أمرنا، غذ لم تمكنا مواصــلتك والتعلق بأســبابك، إلا بالدنو منك والمجاورة، ذلك والبعاد عن بعدك فأجمعنا الانتقال بالكلية إلى أطراف أعمالنا، وحواشـــي كورنا من نحو المراســـي، المنتظمة بجزيرة الأندلس التي وصـــفنا لك خبرها، فلما وردنا البلد بالأهل والولد، أخذنا في جمع العدد لإقامة الولد، بتثقيف الفوج من أهل المعصـــية، الذين كانوا لليهودي مشـائعين لأمره مراهنين، فحشـدنا جميع القبائل التي بإزرتنا وكل من اعتصم بطاعتنا، وتمسك بأسبابنا فأخذنا رهائنهم بالمبايعة لك، والافتتاح باسمك في الخطبة، في جميع أهل الســـاحل إليك، واقبل الناس إلينا من كل جهة فزعين مرعوبين خائفين، على أنفســـهم طالبين تســكن دهمائهم وحقن دمائهم، مســتجيبين لدعوتك، والجين في طاعتك معترفين بتقديمنا قديما عليهم وأمرتنا فيهم، وولايتنا قديما، على جميع لســان البربرية، حيث وأين كانوا من نســل زناتة خاصــة، وغيرهم عامة أو لآبائنا من قديم الزمان، ولأعقابنا من بعد حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وذلك ببركة أمير المؤمنين، ودولة أبائه الأبرار، والخلائف الطيبين رضـــي الله عنهم أجمعين، ونصـــر في القيامة وجوههم، فهم الذين لم تزل والقلوب عليهم متآلفة، والجماعة بهم راضية، فأنا الآن يا سيدي جاد مجد مستمر مواظب في تقويم أود أهل المطيع على المعاصـي، حتى يفتح الله على أمير المؤمنين مشـارق الأرض مغاربها، وسـهالها وأعارها وبراريها وبحارها بنا، وعلى أيدينا، تتصـل طاعته ان شـاء الله، إلى أقصى العراق، ويرث خلافة آبائه الطيبين الأبرار الأكرمين إن شاء الله، وبه نستعين، على ما يتولى إياه نسـتحفظ، ونسـتبقي لا اله إلا هو ربي العزيز العظيم، وها نحن يا ســـيدنا أعزك الله عازمون، والعزيمة لله على النهوض عليهم، وقطع المرافق عنهم، وحل عرى اليهودي منها، وإبعاد وجهه عنا، وهي كما بلغك من وعورتها وصـــعوبتها

وشموخ أجبلها، وأشب شعارها، والبرابر من قلة النصر، ومحاصرة المرافق، ومساورة المعاقل، ومكايدة الحصـــون، والجبل عليها، بحيث تعلمه من العجز عن ذلك، والقصــور عن رومه، ولا يقوم هذا الشــأن إلا العرب، أو ذوي الحنكة المحتضــرمين أصحاب الأسلحة الشائكة والنشاب والعدة، أهل الاقتدار على تشيد البناء، وما يصلح لنكاية الأعداء، فإن ســيدي أمير المؤمنين، أن يقوى عبده الســاعي في دولته، بأمنه من ذلك كله، بالذي لنا فيه صلاحا، ولسعينا نجاحا، مما يكون أوفق، وما أوفق، من العدة وأصناف الأسلحة والنشاب والآلة والرماة، وبعض من يحكم سياسة محاصرة الحصــون، وتكتمل حال العســاكر الكبار والثقال، فإن عندما الكماة ذوي عدة وعدد، وبأنه وجد من صنوف العشائر وضروب العساكر، الحماة الكفاة الأبطال الكماة، قد نهرناهم لتقليص أطراف اليهودي من "تاهرت" وفصــم عراه منها، وإبعاد رجســه عنها، ثم يكون الصمد بعد ذلك ما ورآها، من مدائن اليهودي وأمصاره ومعاقله، وصباحيه، وقصوره وبراره، وكوره وقصى بلاده، حتى يقطع الله أمره، ويصرم مدته بحوله وقوته، والذي أردته علمه أغرب الله من خبر أخي فلفل، هاده الله في حسده لنا، وبغيه علينا، وسوء سيرته وقفل ضميره وسريرته، الذي ألبســه الله رداءها عما استتب من وقعه، وذلك أنه رحل عنا من غير إذا منا ولا مطالعة، ولا مشاورة لنا، وزعم عند عزمه على الرحيل إنه يلتمس خصـــب المرعى بمنابع الماشـــية، فأبعد النجعة، ولم يربط في السباسب والقفار، والأودية منكبا للحواضر والسبل المسلوكة، حتى ورد أطراف أعمال اليهودي المبدل للدين، الخارج عن ملة المسلمين، فنزع إليه هو وولده، وشرذمة معه ممن تبعه وشــافعه في أمره وصـــحبته، في غوايته، فلما وردوا على اليهودي، تلقاهم بالسرور والحبور، ومناهم بالكثير، وزخرف لهم قوله بالغرور، فصــار منهم كأسراب يخلفه من رجاه، ويغر من يراه، تحتســبه الظمآن ماء، حتى إذا جاءه لم يجد شــيئا، ووجد الله عنده، فوقاه حســابه الآية، فارتهنوا عنده أهاليهم وأولادهم، بعد أن أخلف الله ظنهم فيه، وخيب رجاءهم، وصـــــدروا عنه على خروجهم إلى نحو بلد الزاب، إلى

القبائل بتلك الأطراف من بني مغراوة خاصة، ليسمعوا لهم ويطيعوا أمرهم، فمنهم من رحلوا إلينا هاربين بأنفسهم، وأموالهم، ومنهم من لم يشتغل بهم، ولم يحفل بأمرهم، وذلك لأدبار ولد يهودي (إسماعيل) عنا ونزول نعم الله به على أيدينا، ولم ينشب أن ورد كتاب اليهودي (عبيد الله المهدي) إلينا، يذكر فيه نزوع الغاوي فلفل أخي إليه، ورغبته فيما لديه واعترافه بالحقن ورجوعه عن الباطل، وحسن قبوله إياه، وكرم منزلته عنده، وأعطاه أياه كل من سأله منه، وأمله لديه، ويحظى على امتثال فعله، ويندبني إلى الرجوع إليه، ويرغبني في الولوج في طاعته، والتمسك في سنته، ويمني على ذلك الكثير، ويعدني بالجزيل، ويقول بأنه لا يحاول مني ذهبا ولا فضة، ولا يكلفني نائبة غير الافتتاح باسمه، والخطبة في المنابر عليه، وصرف السكة بذكره، وإرسال أحد ولدي إليه، أو بعض إخوتي ليشيع في الناس إني قد رجعت إليه، وصرت في طاعته، وكل ذلك لم أحفل بكتابه، وأمرت بجوابه، لما نحن عليه من البنية مزارنا، والاستئثار ببيعتنا، لما قد بلوناه من افكة وبغية، وعلمنا من كفره ولحده وقلة وفائه، ونقضه لعهده، فنحن أيدك الله لا نقصر في كتابه، ولأنني في قطيعته وحربه، وإدخال النصر عليه، أو انتقاض أطرافه واقتناص أهل طاعته، حتى ركن الله صيته ويقطع دابره بحوله وقوتهن إن شاء الله تعالى".

ملحق رقم (4)

رســـالة من الناصـــر لدين الله، إلى محمد بن خزر زعيم زناتة يطلعه فيها عزمه لاسترداد ملك أجداده في المشرق ويأمره بالتأهب واستنفار القبائل لذلك[1]:

" كان الناصـــر لدين الله، لا يكاد يخلى كتبه إلى هؤلاء الأمراء، المؤلفين له من أملاك البرابرة بأرض العدوة، من ذكر طلبه لسـلط المشـرق وقيامه في إرجاع ما سلب آباؤه منه، وتحمله في الجواز إلى ما هنالك (للمقأر) عنه وذكر تظاهر الروايات له، وإجماع الآثار على أنه المرتجع له، والتحلية لهؤلاء الملوك بأنهم أنصـــاره عليه، ومقدمته في طلبه ومعامزيّة فخره، ومنزلة ذكره بقربهم ذلكن ومثله ولضـــــربهم على عدواة لعدائه من بني عبيد الله ملوك الشـــيعة، الذين على ديار أفريقية وتخليهم على حرب أصـحابهم، والتخفيف لأعمالهم فينال من ذلك ما يبغيه، ويغبهم مع ذلك بهدايا وصـــلاته، وخلعه وألطافه، ويركن بصـــائرهم في اعتقاد موالاته، والتزام طاعته، فينفق في هذا الباب الأموال الحشـيمة، ويحشـم له الحاشـم الثقيلة، مما تناول به محمد بن خزر، عميد أولئك المتألقين من الأمراء بالعدوة في هذا المعنى، فصـل ضـمنه جواب كتاب له نسخته:

" وإن أمير المؤمنين لما تفرغ باله، وانقضت بالأندلس أشغاله، واكتملت له في أعدائه أماله، ولم يبق عليه فيها بقية يعانيها، ولا مجال يسـتعمل رجاله فيها، صـرف عزيمته، وأمال همته، إلى ما بين يديه من أسـباب المشـرق، وطلب ما لم يزل لأوله حقا وله ميراثا، مع ما ينويه ويرجو أن يجزي الله أكروته على يديه، من أحباء الدين، بنظره وأماته البديع تقويم منهاجه وحماية بيت الله الحرام، المنتكئة حرمته، المعظمة المســـلوب ركنه، المغلوب أهله، المطلة مناســـكة ومشـــاعره، وأن يجعل الله لأمير المؤمنين حاصـــرا له، يطلب الجاني عليه بجبايته فيه، مجرد من يخلق الســـنن ما درس، ويظهر منها ما انطمي، وعلى الله يتوكل أمير المؤمنين بالتأهب والاســتعداد،

---

[1] ابن حيان، المقتبس، تحقيق شالميتا، ص306-307.

بالرجال والأجناد، وبجنود الأماة وانتقاء الرماة وتضــعيف العدد، وتكثير العدة وتجديد الآلات، وتكميل الأدوات والنظر في الجان، الحشـــود بالجنود لميقات معلوم، ووقت معدود، وأن يســـتكثر من جمع المراكب إلى ما قد قام منها، ويتوســـع في عددها، بتحميل الأساطيل المؤيدة في وقت إجارتها، وعند مكان البحر، لها السير طائفة منها نحو سبته، وأخرى إلى جهة وهران، فمن تخيره من وجوه قواده، وأعلام رجاله وصـميم حشـمه وإبطاله، أهل البأس والصـبر وحسـن البلاء، وقوة الجلد، الثارين أنفسـهم في مرضــاة أمير المؤمنين، والطالبين بحقه والمســتنصــرين في نكاية عدو، ذوي الشــاه الخالصـة، والبصـائر الصـادقة والبسـالة القائمة، كل بهول أخرهم قرن يناوله ولا يثنى مغنهم، جيش يقابلـه كـالليوث في إقبـالهم والبتـايين التهـامهـا، قد مرســـتهم الحروب ومرسـوها، وسـاسـتهم الخطوب وسـاسـوها، فهي أسـهم، وهم بنوها، فاسـتعد اسـعد الله، وتأهب وشـمر وتليب، وكن على انتظار ما يوافيك من أمير المؤمنين، لتكون صــدر القواد كما أنت صـــدر أولى الوداد، ومتقدما للرجال كما أنت في صـــدر العال، فإن أمير المؤمنين يرجو الله عونه وعليه توكله، أن يكون قد قرب الوقت، الذي قد رجوت العوز به، والإدراك له والبلوغ الأمل منه، إن شاء الله عز وجل".

أولاً- المصادر:

- **القرآن الكريم.**

/ **ابن الابار، محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي البلنسي، (ت: 658هـ/1260م).**

- الحلة السيراء، تحقيق علي إبراهيم محمود، دار الكتب العلمية ، (بيروت- 2000).

/ **ابن الأثير، عز الدين ابي الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني، (630 هـ / 1233م).**

- الكامل في التاريخ، تحقيق محمد يوسف الدقاق، ط4، دار الكتب العلمية ، (بيروت-2006).

/ **ابن الأحمر، إسماعيل ،(ت: 807هـ/1404م).**

- روضة النهرين في دولة بني مرين، مطبعة الملكية، (الرباط- 1962).

/ **الإدريسي، أبو عبدالله محمد الشريف السبتي، (ت:560هـ/1164م).**

- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تحقيق: مجموعة من العلماء، نشر مكتبة الثقافة الدينية، (القاهرة- د.ت).

/ **البكري، أبو عبيد الله بن عبد العزيز، (ت: 487هـ/1094م).**

- المسالك والممالك، تحقيق الدكتور جمال طلبه، دار الكتب العلمية، (بيروت- 2003).

- المغـــرب فـــي ذكـــر بـــلاد أفريقيـــة والمغـــرب، نشـــر البـــارون دي سلان، (الجزائر– 1911م).

/ **البلاذري، أحمد بن يحيى،(ت: 279هـ/892م).**

- فتـــوح البلـــدان، تحقيـــق: رضـــوان محمـــد رضـــوان، (القـــاهرة– 1962).

/ **التجاني، أبو محمد عبدالله بن محمد، (675هـ/1272م).**

- رحلـــة التجـــاني، نشـــر : حســـن حســـني عبـــد الوهـــاب، (تـــونس– 1958).

/ **ابـــن تغـــري بـــردي، أبـــو المحاســـن جمـــال الـــدين يوســـف الاتابكي،(ت: 874هـ/1469م).**

- النجـــوم الزاهـــرة فـــي ملـــوك مصـــر والقـــاهرة، المؤسســـة العامـــة للتأليف والترجمة، (مصر– د.ت).

/ **ابـــن حـــزم، أبـــو محمـــد علـــي بـــن أحمـــد بـــن سعيد،(ت:647هـ/1249م).**

- جمهـــرة أنســـاب العـــرب، تحقيـــق: عبـــد الســـلام هـــارون، ط4، دار المعارف، (القاهرة– 1977م).

/ **الحميـــري، أبـــو عبـــدالله محمـــد بـــن عبـــد المـــنعم السبتي(ت:710هـ/1256م).**

- الـــروض المعطـــار فـــي خبـــر الأقطـــار، تحقيـــق: د. إحســـان عباس، (بيروت–1975).

/ **ابن حوقل ، أبي القاسم محمد البغدادي النصيبي، (ت:380هـ/990م).**

- صورة الأرض ، منشورات دار مكتبة الحياة، (بيروت-1979).

/ **ابن حيان ، أبو مروان حيان بن خلف القرطبي،(ت: 469هـ/1076م).**

- المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق: تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، (بيروت-1965).
- اعتنى بنشر شالميتا، المعهد الاسباني العربي للثقافة، (مدريد، 1979).
- تحقيق: محمود علي مكي، لجنة احياء التراث الإسلامي، القاهرة-1994).

/ **ابن الخطيب، لسان الدين بن محمد بن عبدالله التلمساني،(ت: 776هـ/1374م).**

- تاريخ المغرب في العصر الوسيط، أعمال الأعلام ، تحقيق الدكتور أحمد مختار العبادي، والأستاذ إبراهيم الكتاني، (الدار البيضاء- 1964).
- تاريخ اسبانيا الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام، تحقيق ليفي بروفنسال، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2004.

/ **ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، (ت:808هـ/1405م).**

- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط3، دار الكتب العلمية ،(بيروت- 2006).

/ **ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد أبي بكر،(ت: 681 هـ/ 1282م).**

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس ، دار صادر ، (بيروت-1977م).

/ **ابن خياط، أبو عمرو خليفة، (ت:240هـ/854م).**

- تاريخ خليفة ابن خياط، تحقيق: أكرم العمري، (بغداد- 1967م).

/ **الداعي ادريس، عماد الدين القرشي، (ت:872هـ/1467م).**

- عيون الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، تحقيق: مصطفى غالب، دار الأندلس، (بيروت- 1975).
- تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب (القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار)، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، (بيروت-1985).

/ **الدرجيني، أبو العباس احمد بن سعيد، (ت:670هـ/1271م).**

- طبقات المشايخ بالمغرب المعروف بطبقات الاباضية، تح: إبراهيم طلاي، (قسطنطينة- 1974م).

/ **الرقيق القيرواني، أبو اسحاق إبراهيم بن القاسم، (ت:420هـ/1029م).**

- تاريخ افريقية والمغرب، تحقيق: المنجي الكعبي، (تونس- د.ت).

/ **ابن أبي زرع ، الشيخ أبو الحسن علي بن عبدالله ،(ت: 710هـ/1311م).**

- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والنشر، (الرباط- 1972) .

- الذخيرة السنية في محاسن الدولة المرينية ، دار المنصور للطباعة والوراقة، (الرباط- 1972).

/ **السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر،(ت:911هـ /1505م).**

- تاريخ الخلفاء، تحقيق وائل محمد الشرقي، دار الكتب العلمية، (بيروت- 2008) .

/ **الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير ، (ت:310هـ/922م) .**

- تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل، دار المعارف، (القاهرة- 1977).

/ **ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن حبيب، (ت:257هـ/870م).**

- فتوح مصر والمغرب، تحقيق: عبد المنعم عامر،(القاهرة- 1961م).

/ **ابن عذارى، أبو العباس أحمد بن محمد، (كان حياً سنة 712هـ).**

- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ليفي بورفنسال، دار الكتب العلمية، (بيروت–2009).
- تحفة الحاوي المطرب في رفع نسب شرفاء المغرب، تحقيق: رشيد الزاوية، نشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة الأمنية، (الرباط–2008م).

/ **ابن عساكر، أبي القاسم علي ابن الحسن بن هبة الله الشافعي، (ت:579هـ/1183م).**

- تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: محب الدين ابي سعيد العمري، دار الفكر، (بيروت –1995).

/ **القاضي النعمان، أبو حنيفة بن محمد بن حيون المغربي، (ت:363هـ/973م).**

- المجالس والمسايرات، تحقيق الحبيب الفقي، إبراهيم شبوح، محمد اليعلاوي، دار المنتظر، (بيروت–1996).

/ **ابن قتيبة الدنيوري، عبدالله بن مسلم، (ت:282هـ/895م).**

- عيون الاخبار، تحقيق: السيلاوي، دار الكتب المصرية، (القاهرة– 1925).

/ **القلقشندي، أبو العباس أحمد،(ت: 821هـ/1418م).**

- صبح الاعشى في صناعة الانشا، نشر: مركز تحقيق التراث بدار الكتب، (القاهرة– 1920م).

/ **ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز القرطبي، (ت:367هـ/977م).**

- تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: عبدالله انيس الطباع، دار النشر للجامعية، (بيروت-1957).

/ **المراكشي، أبو محمد عبد الواحد بن علي،(ت: 647هـ/1249م).**

- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان، (القاهرة-1963م).

/ **المقدسي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن احمد،(ت:375هـ/985م).**

- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط2، مطبعة بريل، (ليدن- 1906م).

/ **الملزوزي، أبو فارس عبد العزيز بن عبد الواحد، (ت:697هـ/1297م).**

- نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك، المطبعة الملكية، (الرباط – 1963).

/ **مؤلف مجهول ، (ت: أواخر القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي).**

- مفاخر البربر، نشر ليفي بروفنسال، (الرباط- 1934م).

/ **مؤلف مجهول.**

- الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، (الدار البيضاء، 1979م).

/ **مؤلف مجهول، (كتاب القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي).**

- الاستبصار في العجائب الأمصار ، تحقيق الدكتور سعد زغلول عبد الحميد، (الكويت،1985) .

/ **المقري، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني، (ت:1041هـ/1631م).**

- نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، (بيروت- 1968).

/ **المقريزي، تقي الدين احمد بن علي، (ت:845هـ/1441م).**

- اتعاظ الحنفا بذكر الأئمة الفاطميين الخلفا، تح: جمال الدين الشيال، ط4، (القاهرة- 1967م).
- كتاب المقتفى الكبير ، تحقيق: محمد اليعلاوي، ط1، دار الغرب الإسلامي،(بيروت- 1991).

/ **ابن النديم، ابو الفرج محمد بن ابي يعقوب اسحاق بن محمد،(ت: 380هـ/990م).**

- الفهرست، دار المعرفة (بيروت -1978).

/ **النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب، (ت:721هـ/1321م).**

- نهاية الارب في فنون الأدب، نشر : د. مصطفى أبو ضيف، (الدار البيضاء- 1984م).

/ **الوزان، الحسن بن محمد الفاسي، (ت:960هـ/1552م).**

- وصف أفريقيا، ط2، ترجمة عن الفرنسية، محمد حجي ومحمد الاخضر، دار الغرب الإسلامي، (بيروت- 1983).

/ **اليـافعي، أبـو محمـد عبـدالله بـن أحمـد بـن علـي بـن سـليمان، (ت:768هـ/1366م).**

– مـرآة الجنـان وعبـرة اليقظـان، دار الكتـاب الإسـلامي، (القـاهرة–1993).

/ **يـاقوت الحمـوي، شـهاب الـدين أبـي عبـدالله يـاقوت بـن عبـدالله الرومي البغدادي، (ت:626هـ/1229م).**

– معجم البلدان، دار صادر، (بيروت–1995م).

ثانياً- المراجـــــع:

/ **إسماعيل، محمود.**

– الخـوارج فـي بـلاد المغـرب حتـى منتصـف القـرن الرابـع الهجري، (القاهرة– 1986م).

/ **أيوب، إبراهيم.**

– التـاريخ الفـاطمي السياسـي، ط1، الشـركة العالميـة للكتـاب، (بيروت).

/ **بدر، احمد.**

– تاريخ الأندلس في القرن الرابع الهجري، (دمشق– 1974م).

/ **بروفنسال، ليفي.**

– الإسـلام فـي المغـرب والأنـدلس، تعريـب: محمـود عبـد العزيـز سالم، وصلاح الدين حلمي، (القاهرة–1956م).

/ **الجنجاني، الحبيب.**

- السياسة المالية للدولة الفاطمية في المغرب، وزارة الشؤون الدينية، (المغرب-1977).

/ **الحريري، محمد عيسى.**

- الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، ط3، دار القلم للنشر والتوزيع، (الكويت-1987).

/ **ابن أبي دينار، محمد بن أبي قاسم القيرواني.**

- المؤنس في أخبار افريقية وتونس، تحقيق: محمد شمام، ط3، دار الميسرة، (بيروت-1993).

/ **الزركلي، خير الدين.**

- الاعلام، ط2، دار العلم للملايين، (بيروت-1997).

/ **زغلول، د. سعد.**

- تاريخ المغرب العربي، ج1، (الإسكندرية-1969م).

- علاقات المرابطين بالممالك الاسبانية والدول الإسلامية، (بغداد-1985م).

/ **سالم، عبد العزيز.**

- المغرب الكبير، (الإسكندرية-1966م).

/ **السلاوي، أبو العباس أحمد بن خالد الناصري.**

- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، (الدار البيضاء - 1954).

/ **عبد محمد، سوادي.**

- دراسات في تاريخ المغرب العربي من القرن الثالث الهجري/ العاشر الميلادي، د.ط، (البصرة–1989م).

/ **طه، عبد الواحد ذنون.**

- الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال أفريقيا والأندلس، دار المدار الإسلامي، (2004م).

/ **طقوش، محمد سهيل.**

- تاريخ الفاطميين في شمال افريقية ومصر وبلاد الشام، ط1، دار النفائس، (بيروت–2001).

/ **العبادي، أحمد مختار.**

- في التاريخ العباسي والفاطمي، دار النهضة العربية، (بيروت– د.ت).

- دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، (الإسكندرية– د.ت).

/ **عزيز، احمد.**

- تاريخ صقلية الإسلامي، ترجمة: أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، (تونس– 1980م).

/ **عنان، محمد عبدالله.**

- دولة الإسلام في الأندلس من الفتح حتى بداية العهد الناصر، ط3، مكتبة الخانجي، (القاهرة–1960).

/ **فروخ، عمر.**

- العـــرب والإســـلام فـــي الحـــوض الغربـــي مـــن البحـــر المتوســـط، ط2، دار الكتاب العربي، (بيروت-1981).

/ **الفيلالي، عبد العزيز.**

- العلاقـــات السياســـة بـــين الدولـــة الأمويـــة فـــي الأنـــدلس ودول المغرب، دار النشر والتوزيع، (الجزائر-1983).

/ **ابن القاضي المكناسي، أبو العباس أحمد بن محمد.**

- جـذوة الاقتبـاس فـي ذكـر مـن حـل مـن الاعـلام فـي مدينـة فـاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، (الرباط-1979).

/ **رضا، محمد سعيد، والعامري، محمد بشير.**

- تـــاريخ المغـــرب والأنـــدلس فـــي العصـــر الإســـلامي، (بغـــداد-2002).

/ **محمود، حسن أحمد.**

- قيـــام دولـــة المـــرابطين، مكتبـــة النهضـــة المصـــرية، (القـــاهرة-1957م).

/ **المعموري، محمد عبدالله.**

- تـــاريخ المغـــرب والأنـــدلس، ط1، دار صـــفاء الثقافيـــة للنشـــر والتوزيع، (عمان-2012م).

/ **مؤنس، حسين.**

- معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، (القاهرة-1992م).

/ **الميلي، محمد.**

- تاريخ الجزائر القديم والحديث، (الجزائر–1963م).

/ **النقيب، أحلام حسن.**

- تاريخ الأندلس عصر الخلافة الأموية، (الموصل–2006).

/ **أحمد، نهلة شهاب.**

- دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، دار الكتب العلمية، (بيروت–2009).

ثالثاً-الرسائل والأطاريح الجامعية:

/ الجبوري، عبد العباس إبراهيم، الحركة الفكرية في مدينة فاس في عهد الموحدين، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، (جامعة بغداد–1986م).

/ الدوري، إبراهيم ياس خضير، السياسة الداخلية والعلاقات الخارجية للأندلس في عهد المنصور بن أبي عامر، أطروحة دكتوراه غير منشورة، (القاهرة–1987م).

/ الراشد، عبد الجليل، علاقات دول الطوائف في الأندلس بالمرابطين، أطروحة دكتوراه غير منشورة، (القاهرة–1972م).

رابعاً-الدوريات:

/ الراشد، عبد الجليل، المغرب في ظل الصراع الأموي الفاطمي، مجلة آفاق عربية، العدد(3)، (بغداد–1978م).

/ سالم، سحر، من جديد حول برغواطة هراطقة المغرب في العصر الإسلامي بحث اتقن في مؤتمر الحركات الهدامة في

التـــاريخ الإســـلامي قـــديماً وحـــديثاً، كليـــة الآداب، جامعـــة الزقازيق، 22-2-1999.

/ مكـــي، محمـــود علـــي، التشـــيع فـــي الأنـــدلس، صـــحيفة المعهـــد المصـــري للدراســـات الإســـلامية، العـــدد (1-2)، (مدريـــد- 1954).